طلعنا عالحريّة

حرية، كرامة، مواطنة

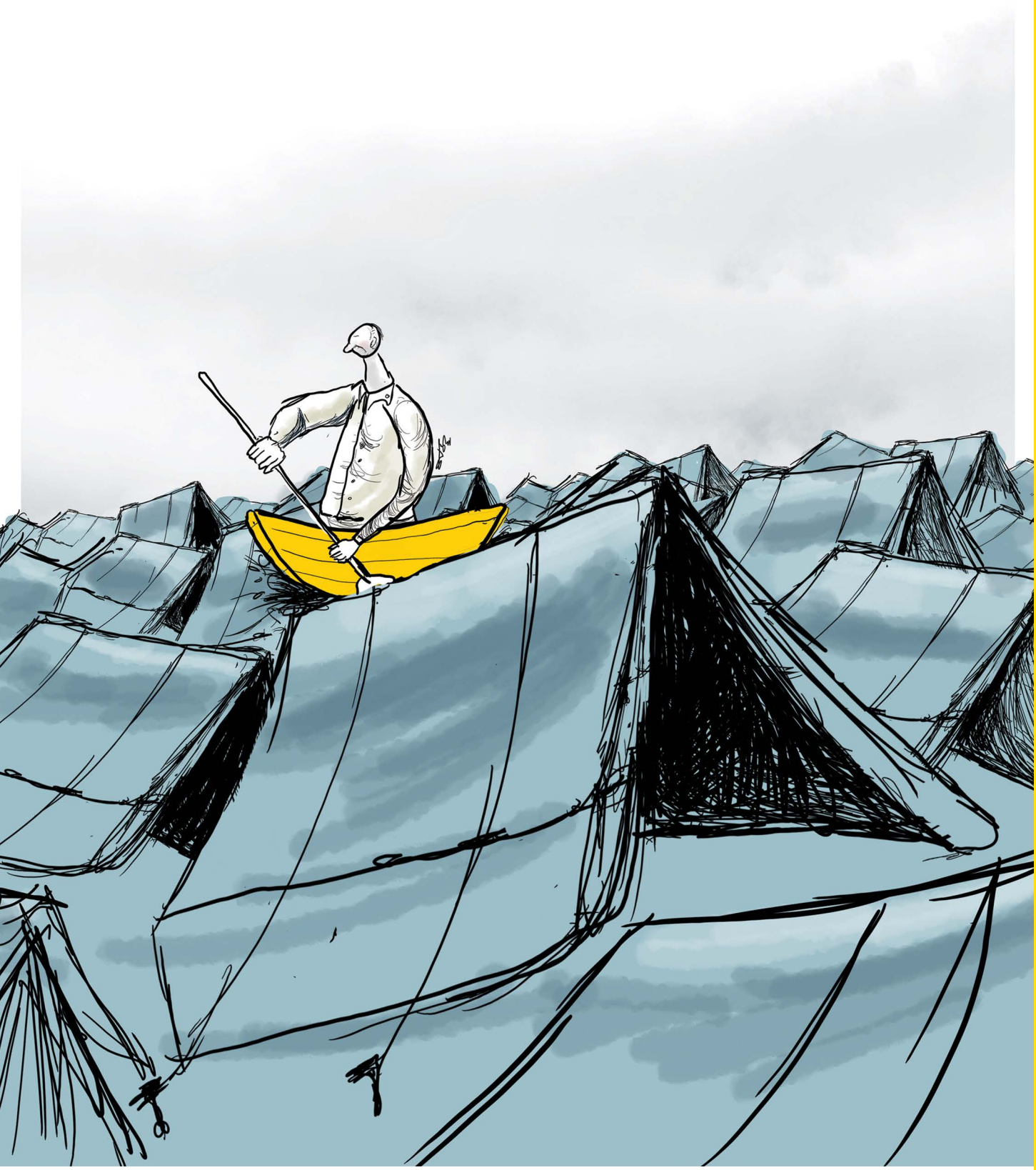

العدد 104
2022 / 4 / 25
مجلة شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

تجلّى.. وابتسمَ!

افتتاحية العدد بقلم أسامة نصّار

في سهرة رمضانية عائلية أراد المضيف أن نلتفت إلى حديث واحد بدل الثنائيات والثلاثيات الجانبية، أو ربما بدل السرحات الفردية لكل منّا. فوجّه سؤالاً للجميع: ما هي أقدم ذكرى رمضانية يمكنك استحضارها الآن؟

المتسامرون هم قسم من شلّة أصدقاء وصديقات قدامى، التمّوا من جديد على بعضهم لأول مرة في الشتات، منذ فراقات السنوات العشر الأخيرة، وقد توسّعت المجموعة باتجاه الأولاد والبنات، بعد أن تآكلت بغياب الشهداء والمعتقلين ومجهولي المكان والمصير!

ياللفتة الذكية! الآن سنبدأ باستعادة الجيل الثاني المغترب إلى ثقافتنا ولغتنا، سنعرفه ببلده الحقيقي وليس البديل، سنحكي لهم عن نفحات رمضان وصلاة التراويح، وعن سهرات الفوازير وحواديت شهرزاد، وقراءة ختمات القرآن، إحياءات العشر الأخير، والعودة مع طلوع الشمس من صلاة الفجر.. سوق الجزماتية، صناعة المعمول المنزلي، وتقطير العرقسوس، المسحّر (أبو طبلة)، تقاسيم الناي على مقام الحجاز قبيل أذان المغرب، تحية الإفطار.. توفيق المنجد و"رمضان تجلّى وابتسم".. "فودّعوه"!

وبينما بدأ الحاضرون بسرد ذكرياتهم، كنت أحاول دفع التداعي الذي انهمر في ذاكرتي الرمضانية.. تشوّقنا لرمضان "حاسم" في السنة الأولى للثورة، اعتصام ليلة القدر في جامع الرفاعي في ساحة كفرسوسة، مظاهرات بعد التراويح، أيام العمل بالتواري في حواري الشام مع غياث مطر ونبيل ويحيى شربجي قبل اعتقالهم، رمضانات المعتقلات، أو الحصارات.. الأنقاض على سفرة الإفطار في بيت تعرض لقصف أودى بحياة سكانه الصائمين في دوما، أو أسرة أخرى ارتقت من مائدة مشابهة لكن من سلقين في ريف إدلب.. الشهيد الدكتور أسامة البارودي، الذي ارتقى صائماً من سجن صيدنايا العسكري، لهفة سميرة الخليل ورزان زيتونة لتأمين إفطار "نوعي" تحت الحصار لنا نحن الصائمين.. وابتسامة رزان لمّا ذكرت لها من السيرة النبوية قصة "ذهب المفطرون اليوم بالأجر"!

يبدو أني شردت..

حاولت أن أحفر أعمق في الذاكرة، مبتعداً عن ذكريات ما بعد الثورة. وقاومت الفكرة التي تتردد كل حين في ذهني: حياتنا انقسمت انقساماً حاداً إلى قبل 2011 أو بعدها، وبتمايز واضح!

لكن سلسلة أخرى من المآسي تدفقت لتخنقني من جديد.. وفاة أبي، طرد مجموعة "شباب داريا" من جامع أنس بن مالك لما رفضوا الخضوع للمشيخة المتواطئة مع المخابرات، عجزي أمام نظرة بائعة المعروك العجوز الفقيرة المنكسرة في سوق باب سريجة، وهي تطالع بسطتها وقد دلقها صاحب المحل الجشع، لأنها تقف أمام "باب رزق"-ـه.

قاطعت نفسي مرة أخرى: بلا مجاملة، ذكرياتي ليست لطيفة مع الشهر الكريم! وليست كلها متعلقة بما بعد 2011! بل حتى الذكريات العذبة تصبح صعبة لما تستحضرها بغياب صنّاع تلك الذكريات وصنّاع عذوبتها..

نخدع أنفسنا عندما نظن أن الأحداث القديمة هي "الزمن الجميل"!

يقترب دوري للكلام في سهرة الأصدقاء.. الأفضل أن أفكّر بشيء بسيط وخفيف.. آه.. نعم.. أتذكر "أبو يحيى" مؤذن جامع عمار بن ياسر قبالة بيتنا القديم في بستان البختيار؛ الجامع الملاصق لدار الأمان للأيتام.. نعم؛ المركز الذي حلّ بشار الأسد مع زوجته ضيفين ثقيلين قبل أيام على إفطار الأطفال نزلاء المركز، ليطبقا حرفياً حالة "الأيتام على مائدة اللئام"!

أوف! ليست المشكلة في رمضان، ولا فيما بعد 2011.. عندي -وعند كثيرين- مهارة تعكير أيّ ذكرى من أيّ شهر وأيّ مكان! فنقطّب ونغوص في الكمد، رغم أن الكريم، رمضان، تجلّى.. وابتسم!

طلعنا عالحريّة

شهرية ثقافية، اجتماعية، سياسية، تعنى بالشأن السوري

www.freedomraise.net

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير

المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار

نائب رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/rising4freedom

twitter.com/freedomraise

freedomraise@gmail.com

المدير الإداري	الغلاف	كاريكاتير	أمن رقمي ومحاسبة	زملاء مختطفون في سوريا
معتصم أبو الشامات	سمير خليلي	سمير خليلي / هاني عبّاس	وائل موسى	رزان زيتونة - ناظم حمادي

السلام غايتنا وليست الحرب ولا الإذعان

جمال الشوفي

أردناها حرية وسلاماً وعدالة، فيما أرادتها آلة القتل وسلطات الأمر الواقع حرباً مفتوحة، أدركنا من بدايتها أنها تنذر شراً قد يغدو عالمياً.

السلام الذي أردناه ونريده هو غاية السعادة البشرية، هو القدرة على التعايش مع المختلف معك سياسياً ودينياً ولوناً ومصلحة. السلام كغاية بشرية وموضوعة حياة يومية، هو مسعى الشعوب للاستقرار والاستمرار. السلام نقيض الحرب والقتل والدمار، وليس هذا فقط، بل نقيض النفس الأمارة بالسوء، بنزعتي الكراهية والعداء. السلام كحالة سياسية تبعث على الطمأنينة في دول الجوار والمحيط العربي والإقليمي والعالمي. هو غاية ووسيلة بآن لتحقيق الذات البشرية وكرامتها في دولة وأرض ووطن، وكل ما جرى لليوم من حرب على الشعب والمدنيين العزل يقوض هذا السلام ويجعله بعيد المنال ..

خياراتنا، خيارات السوريين كانت ولازالت واضحة: السلام والعدالة والحرية، حتى وأن أرادها أصحاب سلطات الأمر الواقع والميليشيات التي تفرخت بسوريا من كل صنوف آلات القتل الجزافي والتي استقدمت خلفها شتى أنواع الاحتلالات العسكرية، بقيت وستبقى هي خيارات الشعب المستضعف والمظلوم لعقود، ولربما لدهور، سياسياً ودينياً ومجتمعياً. خيارات الدولة الوطنية، دولة القانون والمؤسسات، لا خيارات الارتزاق والإرتهان للمنظومات الأمنية والميليشوية وأصحاب النفوذ وأباطرة المال والاحتكار، وبرسم القانون الذي يشرعه جوقة من المصفقين "المهللين"، "المطبلين" فيما يسمى بمجلس الشعب.

لا يتحقق السلام بفرض القوة والسطوة، بل بالقانون الوضعي؛ القانون كتجسيد موضوعي للعقد الاجتماعي بين البشر المختلفين في الأهواء والأذواق والرغبات والمصالح، وحتى بالأطماع والأديان والعقائد. القانون المصان قضائياً ودستورياً والذي ينص صراحة على تحقيق العدالة والمساواة بين البشر في الحقوق والواجبات، وكل خرق لهذه المساواة يستوجب إقامة العدل صوناً للسلام أولاً وللعقد الاجتماعي ثانياً..

وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بالإرادات الحرة، بذوات الأفراد المتحررة من نير الاستبداد وقد امتلكت ذواتها، كمواطنين لا كرعايا وخرفان للذبح، وأيضاً امتلكت القدرة على التعبير عن رأيها، عن ذوقها، عن فكرها، عن توجهاتها وطموحاتها، لا عن انتمائها المهين والمذل لحزب أوحد، أو لمجموعة أحزاب ترعى في فلكه تسمى جبهة وطنية.

الحرية حرية الجميع أفراداً ومؤسسات، رجال ونساء، هي حق الله وقد أودعه أمانة بين بني البشر لأنهم يعقلون، ويفكرون، لإنهم بلا السلام والعدالة والحرية يعودون لشريعة الغاب ولغة القتل والبطش وحكم الأقوى وفلتان المرعى والمأكل والمشرب..

يقول قائل: وأي سلام وعدالة وحرية تريدون وقد استجلبتم الأجنبي لقصف سوريا؟ ويبدو أنه يخطئ لا في المعنى، بل في تزوير وتحريف التاريخ، فمن استقدم الأجنبي؟ ويبدو أن السلام والعدالة والحرية نذرٌ على أصحاب النفوذ وذوي القامات الرفيعة من المتملكين وأصحاب النزعة المخملية في الحياة، وربما يقصد أن سوريا ليست سوى مزرعة لتدجين البشر وزراعة الحشيش وتهريب المخدرات والاتجار بالأعراض والأعضاء البشرية، وما الشعب سوى حقل تجاربها الأوسع لكل صنوف القتل والدمار والاستعباد...

سوريا ليست جهة سياسية أو طائفية ولا مدينة دون أخرى. سوريا كل المدن السورية؛ كل أطفالها، كل نسائها، كل حاراتها.. سوريا الوطن المسلوب والدولة المهدورة، سوريا التي لم تبقَ قوة عالمية كبيرة أو صغيرة إلا وأعلنت التدخل بها، فقط لأنها تقوم على نظم العسكر والقبضة الأمنية وسطوة الديكتاتورية البعثية العسكرتارية، تلك التي لم ترَ في مظاهرات ومطالب الشعب بالسلام والعدالة والحرية سوى اغتصاباً لسلطاتها ونفوذها، لهيلمانها وسطوتها.

فإن كان الخطأ الذي ارتكبته هذه المنظومة في قتل واعتقال المدنيين وترويج حرب الإرهاب المزعومة، والعمل على إذكاء النعرات الطائفية، وإطلاق يد المجرمين والشبيحة في أرزاق الناس وحياتهم، ومن ثم تهجير سكان المدن المنتفضة هو الخطأ القاتل الأكبر. فالخطأ الماكر الآخر هو في حالة الجمود السياسي والإفقار المتتالي والإجحاف بتهجير من تبقى من الشباب السوري الذي سيصنع السلام أو العدالة. فكل انتصارات العسكر تصنع كل أشكال الطاعة والرعب والخوف، ولكنها أبداً لا تصنع السلام ولا العدالة ولا حتى المصالحة الوطنية، وهذه طامة كبرى في عقلية من يروجون للسلام كشروط إذعان وامتهان. بينما المسألة السورية لليوم بحد ذاتها عقدة دولية لا يمكن حلها بلا تجاوز مولدات أسبابها، وهي عقلية ووهم القوة والمطبلين لها.

اليوم من سوريا إلى أوكرانيا، في قلب أوروبا، تدور رحى الحرب وغطرسة القوة الروسبوتينية تقرع طبول الحرب العالمية الثالثة المدمرة. فمنذ كُشف لها درب قتل أبناء الشعب السوري وتهجير البقية منه، على مرئً من أمم الأرض قاطبة ومجالس أممها ومنابر حقوق الإنسان والأمم، تم تقويض السلام من المنطقة وها هو يمتد إلى ما لا تحمد عقباه عالمياً.

السلام والعدالة والحرية لا تقتلع من نفوس البشر بالحرب والقتل. والنزعة العنصرية والأيديولوجيات القومية المتعصبة ليست نصيرة التاريخ، فقبل الروسبوتينية كانت النازية وذهبت، وكان عصر الامبراطوريات وولت.

أما أن يكون مبرر القتل والدمار العودة للمربع العالمي كقطب ثانٍ فهذا أبداً لن يأتي إلا باحترام هذا الثالوث.

وعلى العالم أن يتذكر: لم نكن كسوريين نريدها حرباً ولا تدخلات عسكرية قاتلة؛ لا روسية ولا أمريكية، فقط أردناها انتصاراً للمظالم المسحوقة، لشعب أراد الحياة. فهل من أذن تسمع قبل أن تبكي البقية منا، وربما كل أمهات الكرة الأرضية قاطبة إذا ما تمددت الحرب الروسية خارج أوكرانيا، كما تمددت قبلها خارج سوريا؟

أسئلة مشروعة... بعد عشر سنوات على الثورة

يوسف صادق

لماذا لم تنجح الثورة السورية؟

هل تجاوز الواقع هذا السؤال؟ أم أن هناك أسئلة أخرى؟

حينما ندرك أنّ نظاماً يمتد بجذوره العفنة إلى كل بنى المجتمع، وإلى أعماق نفوسنا وعقولنا وحتى أحلامنا، ويرتبط بشبكة وريد دماءٍ نجسة بكل مصالح دول الهيمنة والاستبداد، حينها ندرك كم هو السؤال بريءٌ ومجحفٌ بحقّ السوريين.

إذاً لنخرج من الاختلاط في شبهة السؤال وآثامه، ونعود لننظر ببراءة لا تعرف كل ما تعلمناه من كلام جاهزٍ لكل المناسبات. والعودة إلى بدءٍ لا تعني نسفَ كل شيءٍ، بل جدلياً النفي والشك، لنؤسس من جديد.

الحرب الروسية على أوكرانيا تعود بنا لمقولة ماركس "الحرب امتحان لمقدرات الأمة" والسؤال المبدأ، والذي يتجاوز كل الأسئلة السابقة، ولا ينفيها، هل كانت الثورة بما هي حراك شعبي ومدني ثم عسكري، قادرة على تحقيق الحرية والعدالة والدولة المدنية الديموقراطية، كما هتفت بشعاراتها الحناجر؟ حسبنا طرح الأسئلة في الأسطر القليلة الباقية.

من الجهة الأخرى نظام الطاغية كان مستعداً بآلته العسكرية والأمنية والإعلامية لسحق أي حراك ضده. وهذه حقيقة تثبت أن كسر جدران الخوف كان ثورةً. الطاغية هيّأ كل شيءٍ ومنذ عقود كي يبقى، أفرغ الدستور وأفرغ الحياة المدنية والسياسية في المجتمع، بل زرع بها أذرعه لتقوم بمهمته، بدءاً من طفولة الطلائع حتى قهر الشباب في جيشه العقائدي. ليحوّل الشعب لقطيعٍ، أو يرمي به في غياهب تدمر وصيدنايا، أو يسحق الأصوات تحت سقوف البيوت في حماه. ولا يعلو إلا صوت آلته الإعلامية مُمجّدة ومسوّغة لكل شرور الاستبداد. والنتيجة شعب مُذرّر في طوائف وعشائر وأيديولوجيا غيبية، منتظر للمكرمات وزيادة الرواتب في نشرات الأخبار.

قد يعترض الكثيرون وهذا حقّهم. لكن الذي حصل إبّان الثورة يثبت نسبية هذه النظرة. ففي الجهة المقابلة، بدأت الثورة، ثورة الكرامة، لتقول إنّ الشعب السوري واحدٌ، فتوالت الجُمعات واتسع صوت الضمير على كامل الجغرافية الوطنية، لكن التاريخ يعلّمنا أن نسبة نجاح هذه الثورات قليلة، والطاغية جاهز بآلته الدعائية والعسكرية للبطش بها.

وهنا نتساءل هل كان لا بدّ من الانتقال للثورة المسلّحة؟ ربما هو منطق الواقع، لكن مع هذا الانتقال أخرج المجتمع كل ما يرافق منطق القوة، وهنا نعود لجاهزية المجتمع المدني وقدرته على الاستمرار، أو لنقل إنّ الامتحان كان لوعي المجتمع لما خلّفه به الاستبداد.

فحينما تمكّنت القوى الأصولية والمتطرفة من تسلّم دفّة القيادة، أقصت كل صوتٍ مدني أو ديمقراطي، وما حصل في الغوطتين حسب شهادة المعتقلات، والنساء الناشطات، بدءاً من الإخفاء القسري لرزان زيتونة ووائل الحمادة وناظم الحمادي وسميرة الخليل، كان دليلاً على ما زرعه فينا الاستبداد من أمراء للحرب ووصوليين. ورغم ذلك استمرت المقاومة الشعبية في جوبر مثلاً.

لكن الطاغية كان جاهزاً لهذه المرحلة التي استقرت بها عروش الأنظمة الشمولية في كل الأرجاء العربية، مدعيةً المقاومة. فاستحضر أذرعه الخارجية الحاضنة لنظامه الطائفي وأعاد التوازن له منذ عام 2013.

لنقل إن تدخل سياسة القوة كان لابدّ منه، لكنه يحمل معه التهديد المباشر لاستقرار الأنظمة في الشرق المنكوب. وللعالم الذي يحكمه الطغيان باسم مجلس الأمن وعدم فاعلية هيئة أممه المتحدة.

ويكتمل هذا بالتدخل الروسي عام 2015 لينقذ حلفاءه في الاستبداد وتصبح قضية الشعب السوري المطالب بحريته، قضية أممية، يتناولها العالم بمسار جنيف المعطل، ومسار الأستانة المستند للقوة على الأرض من قِبل النظام القزم وحلفائه.

لنقل من جديد منذ ذاك خرجت الأمور من يد الشعب السوري. فلم تستطع هيآته السياسية والمدنية إيجاد التوازن بتحالفاتها واحتضانها من القوى العظمى العالمية، بمعنى لماذا لم يستطع المجلس الوطني ثم الائتلاف الحاكم وهيئة التفاوض أن يكونوا على قدر آمال ومذابح شعبنا؟

الحرب امتحان لمقدرات الأمة، وشعبنا لم يكن لظروف تاريخية وعالمية يمتلك تلك المقدرات. والآن نجح الطاغية بتفريغ المناطق الثائرة، وتشريد مَن تبقّى، وتهجير مَن كان يملك الإرادة والحلم. بل وباتت سوريا مكاناً لتصفية الحسابات العالمية.

لعلّ العجالة السابقة فيها الكثير من الشبهات، لكنّ الثابت فيها بعض الوقائع والأسئلة:

الواقعة الأولى والسؤال: لم يكن المجتمع السوري بظل الحرمان من السياسة والقانون جاهزاً على مستوى ممارسة الحراك الثوري؛ لا يعني هذا أن يؤجل الشعب ثورته حتى ينضج، بل يعني أن يتساءل المحبطون هل خرجوا للشوارع بدافع الحلم وكسر الخوف وفقط؟ على أهمية وتقدير ما كسروه من حواجز فرضها النظام على مرّ عقود.

والواقعة الثانية: تتمثل بسيطرة التطرف، فكان ورقةً بيد الطاغية ليبرر هدم المدن فوق ساكنيها، وليجلب ضباع العالم إلى سوريا، والسؤال: ألم يدفع الحراك المدني السلمي والنشطاء من الإناث والصحفيين والكتّاب والمفكرين ثمن ما جرى؟ ألم يع النشطاء والسياسيون ما أهملوه في بنى مجتمعنا العربي من تقاليد وبطريركية، جعلت كل التقاليد المدنية السياسية قشرةً فوق مستنقع من الأيديولوجيا السلطوية والفئوية؟

الواقعة الثالثة تفرض نفسها مع كل التجارب الناجحة في الحراك الثوري: تنظيماً ودعاية وتحرّراً، كانت وما زالت أملاً للسوريين. كفرنبل وغيرها من المدن السورية الثائرة، ما زالت تلهم أحرار العالم كيف يكون العمل الثوري.

الواقعة الرابعة وليست الأخيرة: مواكبة الحدث إعلامياً ووعي كيفية كسب المواقف سياسياً.

كل ذلك يطرح علينا إعادة النظر للخروج من ثنائية الحل البوتيني/ الأميركي وكيفية تجاوز القشرة الهشّة التي تسمّى الائتلاف، لتمثّل القوى الثورية بجسد سياسي قادرٍ على تمثيل ملايين المهجرين والنازحين والمعتقلين، وفق مشروع مدني ديمقراطي، يمثّل الحد الأدنى مما يستحقّه السوري. ويبقى السؤال بريئاً بعيداً عن شبهات المصالح سوى إرادة السوريين.

وربما ننتظر الكوكب الحادي عشر، لتتحقق رؤيا يوسف.

العالم الفكري لجودت سعيد
نقطة ضوء

د. محمد العمار

كانت حياته درساً مستمراً، وكان له درسان منتظمان: درس أسبوعي يوم الإثنين، استمر لأكثر من ربع قرن، وكنت ضيفه الدائم، ويشاركنا أحياناً بعض الحضور، وأضيف إليه في السنوات الأخيرة درسٌ بعد صلاة الجمعة، كنت أحضره مع أسرتي. وكان له درس في الخميس الأول من كل شهر في منزله في دمشق، لم أحضره بشكل جدي إلا في السنوات الأخيرة.

يتميز الحضور في دروس الأستاذ، بأنه حضور مزمن، وأنا حالة ومثال على هذا الحضور، ويتميز هذا الحضور المزمن فيما يبدو لي بخاصيتين اثنتين:

-1 عدم الإحساس بالملل أو التجاوز أو التكرار الذي يشكو منه كثيرون ممن حضروا الدروس بشكل متباعد، فلم يدخلوا عالمه الفكري، ولم يلحظوا نمو الأفكار، ولم يدركوا قيمتها التأسيسية المنقذة.

-2 تفاوت إدراك الحاضرين لما يقال -رغم الإزمان الذي تحدثنا عنه- وهذا يتضح كلما حدث حوار أثناء الجلسات، وقد كان أمراً ميسوراً؛ فميزة الأستاذ أنه يحب أن يسمع من الآخرين، وكان يعطي الفرصة لكل راغب في الحديث.

وهاتان الخاصتان -فيما أتصور- صدى لطبيعة الفكر الذي يُعرض في جلسات الأستاذ، والذي يتميز بدوره أيضاً بميزتين هامتين فيما نرى هما: الوجاهة والصدقية والمباشرة والبداهة.

صعوبة المحاكاة والاستنساخ وإعادة الإنتاج، ويبدو ذلك واضحاً كلما حاولنا إعادة الإنتاج قولاً أو كتابةً.

وتنبع الخاصة الأولى مما يحتويه الفكر المطروح من مباشرة، ونوعية ما يتصدى له من قضايا، وما يعتمده من أسلوب، وما يلجأ إليه من آليات؛ في الإشارة إلى الوقائع والأحداث التي لا يلتفت أحد لدلالتها، ولا يهتم أحد بمعانيها، فذلك أسلوب في البحث لم يعتده العقل العربي، وبشكل أكثر دقة، لم يعتده عقل العصر الوسيط المسيطر، والذي هو بالمجمل عقل نصّيّ، لم يتعلم لغة العلم التي هي لغة (الخلق) (أي لغة من خَلَق)، والمرشحة لأن تصبح لغة العالم، أو اللغة الكونية.

فيما تنبع الخاصية الثانية من الأفق الذي يتم من خلاله الطرح الفكري؛ فما يطرح من فكر، ليس زيادة معرفية كمية، تتم إضافتها في سياق نظام معرفي سائد، وإنما هي زيادة نوعية من نظام ثقافي مختلف، إنها منبهات ليس لها مستقبلات (إن جاز التعبير) في الثقافة السائدة، إنها لغة جديدة ، تستعمل ألفاظا مستهلكة، مسكونة ومحملة بمعان قديمة فات أوانها، إن ما يحدث هو شدّ وتوسيع لمعاني الكلمات القديمة، تبديل وتجديد وإعادة تأويل، إماتة لبعض المعاني، وإحياء لمعان أخرى ميتة، إنها محاولة لإعادة قراءة الكون والكتاب سبيلي الوحي، من خلال جدل النص والواقع، ومعانقة آيات الكون لآيات الكتاب، في عالم تم فيه إلغاء دلالات آيات الكون، لصالح قراءة وحيدة ميتة متحجرة لآيات الكتاب، إنها محاولة لإنقاذ آيات الكتاب من أسر الزمان والمكان، وشرط التاريخ، لإعادتها حرة طليقة خالدة، مفتوحة على الآفاق والأنفس عبر الزمان والمكان، كما أراد لها الله سبحانه وتعالى، إنها محاولة لخلق نظام معرفي جديد يقوم على إعادة تأويل الواقع والقرآن والإنسان، حيث يتم:

-1 استنطاق الواقع الحي المتحرك المشارك الأول في صناعة المعنى وإنتاجه.

-2 فتح القرآن على الواقع الحي، ليستمد حياة وحرارة من حيوية الواقع وحركته، فيصبح شريكاً في صناعة المعنى، موجهاً له، وليس "مصدراً وحيداً" له، لأنه لا يمكن أن يكون كذلك!

-3 إحياء دور الإنسان وواجبه، باعتباره شريكاً في راهنية المعنى وحركيته، وباعتباره وسيطاً بين النص والكتاب، وكيلاً على جدلهما، شريكاً في خلق الحيوية والحياة فيهما، وكأنما هما يستمدان من حيويته الحياة، ومن حركته اكتمال المعنى، ومن اجتهاده استنارة الواقع وحياة النص.

في الواقع إننا نتحدث عن محاولة خلق "بارادايم" جديد بحسب توماس كون، يقوم هذا البارادايم على قلب جذري لعالم المعنى باعتبار حركيته، وتعددية مصادره، وزيادته الدائمة، وحركته المستمرة باتجاه الاكتمال والوضوح، ويكون لهذا الجهد قيمته التأسيسية، ومعناه الجذري، إذا أعدنا إلى الأذهان حقيقة أننا من الناحية العقلية نتاج ثقافة نصية، مرجعها الأول والأخير والوحيد هو النص.

وعندما نطرح إعادة إحياء قيمة الوقائع، وإعادة تمفصلها مع النص، بحيث يكون الواقع هو العامل الأول في صناعة المعنى، من خلال علاقة الجدل الدائم القائم بين النص والواقع، فنحن لم نصل لهذا المكان اعتباطاً أو خبطاً، بل اتكاء على النص المؤسس في الثقافة العربية، إن النص المركزي أو التأسيسي في هذه الثقافة، يحدد هذا الاتجاه لعلاقة النص بالواقع، ولعلاقتهما بالمعنى يقول تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" [فصّلت: 53].

ففي هذا النص تتجلى بوضوح أولوية الواقع في صناعة المعنى وتحديده؛ فحركة الفكر تنطلق من الواقع حيث الوقائع والظواهر في الأنفس والآفاق، وما ينظمها من سنن وقوانين هي الضابط لحركة الألفاظ، والمحدد لاتجاهات المعاني، وإذا لم نثبت حجر الأساس هذا، نصبح ضحايا لعبة الكلمات. وكثيرا ما يستشهد الأستاذ بنص للإمام الغزالي يقول فيه: " ن أتبع الألفاظ المعاني كان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه.."، وتتحول اللغة من وسيلة تخدم تبادل المعارف والمعاني، إلى دوامة لتضييع المعاني وتمييع الحقائق، وتتحول الوسيلة إلى غاية على حساب المعنى والحقيقة كما حدث في العالم الإسلامي عبر تاريخه؛ فقد تم إنشاء علوم سميت علوم الآلة، للمساعدة في الوصول للكتاب، لكن هذه العلوم أصبحت حوائل، تحول بين الناس وبين كتاب الله، ومحددات لحركة العقل مع الكتاب، فصارت قيداً، وتحولت الوسائل إلى غايات، وضاعت الغايات الأساسية، وتاهت العقول والكفاءات في لعبة اللغة ومتاهة الكلمات، وانقطعت صلة النص بالواقع، فانطفأت فيه المعاني، فوقع النص في أسر الكلمات، ولم يعد يتصل بالحياة، وحيث أن الكلمات تميل للخلود في مجتمع فقد صلته بالواقع المعاش، اتخذت المعاني أشكالاً نهائية، ومن كثرة تكرارها اكتسبت نوعاً من القدسية والنهائية، واتخذت النصوص المقدسة التي أنزلها الله معان (مقدسة) أنتجها الآباء، فأصيب النص المؤسس بالعقم (الثانوي إن صح التعبير)، وتحول من أداة للتحرير إلى عائق أمام التقدم.

فمن الناحية النظرية نجد أن النصّ التأسيسي يأخذ بيدنا باتجاه علاقة صحيحة أو منتجة أو حيوية مع الواقع باعتبار حيوية الوقائع وتجددها، ولكن المشكلة التي تعوق حيوية هذه الجدلية وتحد من انفتاحها، أن النص المركزي واقع في أسر الآباء، في حركيته وآفاقه ومعانيه، وهذا من الناحية الدينية نوع من الوثنية بحسب ما نفهم من النص ذاته: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ" [لقمان:21]، وهو من الناحية الإنسانية إلغاء لمعنى الإنسان، إذ أن هذا المعنى لا يتأكد إلا باعتبار الفعالية العقلية القائمة على فتح السمع والبصر "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" [الفرقان:44].

لما عرفت الأستاذ في ثمانينات القرن الماضي كنت أرى آية سورة فُصِّلت "سنريهم آياتنا في الآفاق.." نصّاً يتيماً، وبعد أن تعرفت على القرآن بصحبته تبدّى لي القرآن دعوة مستمرة للنظر في الآيات: "قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ" [يونس:101]، وإذا لم تكف البيّنات فالدعوة قائمة للانتظار للآيات: "قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ" [الأعراف: 71].

هذا هم واحد من اهتمامات متعددة كرس جودت سعيد لها جهده ووقته وكل ما يملك من طاقة خدمةً لإيمانه ولأمثاله من البشر.

في مدينة القامشلي

ارتفاع أسعار المواد الأساسية يخطف بهجة شهر رمضان

القامشلي: كمال شيخو

شهدت الأسواق المركزية في مدينة القامشلي ازدحاماً غير مسبوق وإقبالاً شعبياً في شهر رمضان، تزامن مع ارتفاع شديد في أسعار السلع الغذائية والمواد الخاصة بطقوس الشهر. ويواجه سكان المنطقة أسوأ أزمة اقتصادية على مدار الأعوام الماضية جراء انخفاض العملة السورية، وتصاعد الأسعار بشكل كبير بعد الغزو الروسي لأوكرانيا الشهر الماضي. ونقل تجار السوق المركزية إن الحرب الروسية تسببت في زيادة الأسعار بنحو 30 في المائة، خاصة أسعار الزيوت والبقوليات، مما أضعف الأجواء الاحتفالية التي عادة ما يخلقها الشهر الفضيل عند الناس.

وقال سعد الدين (48 سنة) صاحب محل سمانة يقع في السوق المسقوفة وسط مدينة القامشلي: "أكثر المواد التي شهدت ارتفاعاً كانت الزيوت والسمنة والرز والبرغل والبقوليات عموماً، أما التمور فارتفعت كثيراً لتباع علبة 5 كيلو بنحو 35 ألف ليرة" (ما يعادل 10 دولارات أمريكية)، فيما أشار خضر (55 عاماً) والذي يمتلك متجراً للغذائيات إلى أن أغلب زبائنه هذا العام بشهر رمضان فضلوا شراء كميات أقل بسبب ارتفاع الأسعار: "سابقاً الناس كانت تشتري بالجملة في رمضان، لكن هذا العام يشترون بالكيلو ونصف كيلو بسبب الغلاء الفاحش".

ويعزو التجار ارتفاع السلع والمواد الأساسية إلى زيادة تكاليف النقل وطول الطرق وعدم استقرارها، إضافة لتقلب سعر صرف العملات الأجنبية، فقد سجل سعر صرف الدولار الأميركي في الأسواق المحلية بحدود 3800 ليرة.

وحاولت منال (35 سنة) المتحدرة من القامشلي وتعمل موظفة في دائرة تابعة للإدارة الذاتية شراء متطلبات المنزل من مواد أساسية وبعض اللحوم لإعداد وجبة الإفطار. لكنها بعد استفسار عن سعر كيلو اللحم الذي تجاوز 20 ألف ليرة سورية وسعر كيلو الفروج الذي ارتفع إلى 7 آلاف ليرة، خفضت من الكمية التي كانت مقررة شراءها، وأثناء حديثها ارتسمت علامات الحيرة على وجهها وهي تدفع النقود للحام، لتقول: "لا أشتري اللحمة إلا في أطعمة محددة، وآخذ بالأوقية من أجل تغيير نكهة الطعام، عكس ما كنت عليه سابقاً حيثُ كنت أشتري اللحمة بالكيلوغرامات شهرياً".

غير أن سمية (43 سنة) التي كانت تتبضع ووقفت أمام فرن مزدحم لشراء المعجنات، نقلت بأن أطيب الأكلات والتي درجت العادة بشهر رمضان أنه لا يمكن الاستغناء عنها "المعروك أو العجوة المحشوة بالتمر والزبيب، إلى جانب العصائر الشعبية مثل العرقسوس والتمر الهندي وقمر الدين والجلاب، وهي أصناف رئيسية تميز المائدة الرمضانية"، لكن هذه الأصناف وغيرها ارتفعت أسعارها بشكل جنوني، لتضيف بحسرة: "المعروك سعره 5000 ليرة، والعصير 3000 ليرة، وكيلو أي صنف من الحلويات تجاوز سعره 10 آلاف، وهذه الأسعار لا تتناسب مع مدخول الأسرة"، وحاولت إكمال جولتها وشراء بضع الحاجات على الرغم من شحّ الموارد المالية والرواتب.

وأثرت زيادة الأسعار على القدرة الشرائية لدى نسبة كبيرة من شرائح المجتمع، ويعزو التجار ارتفاع السلع والمواد الأساسية لزيادة تكاليف النقل، وطول الطرق وعدم استقرارها، إضافة لتوتر سعر صرف العملات الأجنبية، فقد تجاوز سعر صرف الدولار الأميركي حاجز 3900 ليرة سورية، الأمر الذي أشعل الأسعار وخفض من قيمة البيع والشراء، وطالت هذه الزيادة أسعار الفروج واللحوم. وبحسب أصحاب مذابح الدجاج فقد ارتفعت أسعار المنتجات الحيوانية والدواجن بمتوسط نحو 500 في المئة؛ إذ وصل سعر الفرّوج الحي إلى حدود 7200 ليرة سورية، وطبق البيض ارتفع إلى 10 آلاف ليرة، أما سعر كيلو لحم الخروف تجاوز 20 ألفاً وهذه الأسعار شهدتها المنطقة لأول مرة منذ بداية الحرب في سوريا.

وأجبر ارتفاع أسعار اللحوم الأهالي على العزوف عن شرائها والاستعاضة عنها بمواد أخرى، كحال منير والذي يعمل موظفاً لدى "الإدارة الذاتية" ويتقاضى راتباً شهرياً مقداره 260 ألفاً (نحو 65 دولار أمريكي)، وقال: "لا نشعر بالبهجة بشهر رمضان كما درجت العادة، فارتفاع الأسعار وزيادتها بشكل كبير حرمنا من وجبات كثيرة كنا نشتهي أكلها بهذا الشهر الفضيل".

وربط تجار السوق زيادة الأسعار إلى غياب حالة الاستقرار والتقلبات الميدانية التي تشهدها المنطقة، وكثرة الحواجز على الطرق الرئيسية الواصلة بين المحافظات؛ حيث يأتي قسم من البضائع من الساحل السوري ومدينة حلب عبر الطريق الدولي السريع، والذي تتقاسم السيطرة عليه جهات سورية محلية ودولية متناقضة منذ بدء الحرب، وتفرض هذه الجهات المسيطرة زيادة الرسوم الجمركية. كما شهدت السلع والمواد القادمة من تركيا ومناطق النفوذ التركي شمالي حلب زيادة عالية في رسوم الضرائب، ويقول مناف (55 سنة) المتحدر من القامشلي ويمتلك بسطة لبيع التمور الخليجية والعراقية: "كل طرف يفرض الضرائب والجمارك، الأمر الذي يؤدي إلى رفع الأسعار بشكل لا يتناسب مع دخل المواطن في مناطقنا".

راجعين .... أهالي الغوطة الشرقية يروون معاناتهم مع الحصار والتهجير القسري

علي الدالاتي - إدلب

أطلقت مجموعة من الناشطين من مهجري الغوطة الشرقية حملة بعنوان "راجعين" بالتزامن مع الذكرى السنوية الرابعة لتهجير عشرات الآلاف من سكان الغوطة من بيوتهم وأراضيهم باتجاه الشمال السوري.

تم إجبار الآلاف على ترك بيوتهم وأراضيهم بعد سنوات من الحصار الكامل، وما رافق الحصار من مجازر وقصف، لاسيما بالأسلحة الكيماوية، والتي كانت أكبرها الحملة العسكرية الأخيرة التي شنتها قوات النظام على الغوطة الشرقية بالتعاون مع الميليشيات المؤيدة لها، وبدعم من الطيران الروسي، ما أدى إلى انهيار المباني السكنية على رؤوس قاطنيها، وتهديم المدارس والمساجد والمشافي والأسواق التجارية، مخلفة مجازر ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء، منها ما كان باستخدام الأسلحة الكيماوية.

وسرد مهجرو الغوطة وريف دمشق ومهجرون من عموم المناطق السورية، قصصهم مع الحصار الذي عاشوه أثناء الحملة العسكرية لقوات النظام السوري وحلفائه على مناطقهم، والذي انتهى بالتهجير القسري الذي كان يتبع تلك الحملات.

الجريمة مستمرة

الناشط الحقوقي ثائر حجازي، مهجر من مدينة دوما وأحد مؤسسي حملة "راجعين" قال لمجلة طلعنا عالحرية: "إن الحملة أطلقها ناجون وناجيات من الغوطة الشرقية مع مشاركة من نشطاء من جميع أنحاء سوريا، في هذه الفترة من السنة كونها أيام لا تنسى من ذاكرة أهالي الغوطة" وعن أهداف الحملة يوضح حجازي أن الحملة تهدف لـ"تسليط الضوء على جريمة التهجير القسري؛ فقوات النظام استخدمت الحصار والمجازر بشكل شبه يومي بحق أهالي الغوطة كاستراتيجية طويلة الأمد ولعدة سنوات بهدف استنزاف الأهالي تمهيداً لإجبارهم على التهجير قسراً، ولا سيما استخدامه للسلاح الكيماوي ضمن هذه السياسة".

مشيراً إلى أن الحملة "تسعى إلى تخليد ذكرى الأرض والشهداء، وتطالب بمحاسبة منتهكي حقوق الإنسان في الغوطة، وهي كنوع من رفع الصوت بأن الجرائم التي حدثت وما زالت تحدث في الغوطة لن تُنسى أو لا تسقط بالتقادم، ولا سيما أن جرائم النظام مازالت مستمرة بحق أهالي الغوطة الذين الموجودين فيها الآن، ومازالوا يعانون من سياسة تمييزية إقصائية". ويضيف حجازي عن مواجهة بروباعندا النظام وروسيا: "لأنهم يحاولون الالتفاف على قضية التهجير وعلى عملية إبعاد السكان قسراً عبر اللعب على المصطلحات ونشر الأكاذيب، بأن العملية التي حدثت هي جزء من عملية النزوح الإرادي! بالرغم من الكذب الواضح لهذه السردية، فقط لتضليل الرأي العام العالمي، خاصة في ظل صمت دولي رهيب، فالقانون الدولي الإنساني يوصف هذه ما حدث بأنه جريمة تهجير قسري، وما نتج عنه هو أيضاً غير قانوني".

ويؤكد حجازي أن الحملة تهدف للتأكيد كذلك على "أن أهالي الغوطة سيعودون لمدنهم وقراهم ولكن في حال زوال نظام الأسد؛ فبدون هذا الشرط لن يعود أحد من السكان". كما لفت إلى أن الحملة مستمرة، وستكون جسراً بين المناطق السورية التي تعرضت للتهجير القسري، وبأنهم كقائمين على الحملة يعلنون تضامنهم مع كل المهجرين قسراً في جميع أنحاء سوريا.

ذكريات مؤلمة

أما بالنسبة للناشطة نور الشامي، وهي مهجرة من الغوطة وإحدى المشاركات في الحملة فإن "الهدف الأساسي للحملة هو مقاومة النسيان؛ فبالرغم من كل الظروف ما يزال نشطاء الغوطة الشرقية مصرين على تذكير العالم بما حصل معهم، من حصار ومجازر وتجويع، بالإضافة للتذكير بالتجربة الرائدة لإدارة المنطقة بعد تحريرها من قوات النظام؛ فمنطقة الغوطة الشرقية التي يقطنها مئات آلاف المدنيين خاضت تجربة مميزة في إدارة نفسها رغم الظروف الصعبة التي عاشتها".

وتضمنت الحملة أنشطة مختلفة، فقد نُظّمت عدة جلسات عبر الانترنت ضمت مجموعة ناجين وناجيات تحدثوا عن معاناتهم خلال وجودهم بالغوطة وذكرياتهم مع الحصار والقصف، بالإضافة لإقامة عدة فعاليات مثل معرض صور في مدينة اعزاز يروي حكاية التهجير، وإقامة عمل مسرحي في إدلب حول جريمة التهجير من الغوطة.

كما ضمت الحملة مشاركات من قبل الأهالي بفيديوهات عبر حساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعي يروين فيها قصة تهجيرهم.

حبيبة العمري كانت إحدى الناشطات التي روت قصة تهجيرها عبر صفحتها على فيسبوك؛ حيث قالت : "عند أذان فجر الخامس من نيسان، وصلنا منطقتي أثريا وخناصر، وكنت أسمع بهما

لأول مرة، رأيت لافتة طرقية كُتب عليها "الرقة" وسهمٌ يدلنا إلى طريقها، يا إلهي! بتنا قريبين من الرقة، كم ابتعدنا عن دوما وإلى أين نذهب؟

أعترف بجهلي بجغرافية بعض المناطق السورية، وأخجل منه، ولكني يومها رأيت أن وصولنا إلى لافتة تدلنا على طريق الرقة دلالة على النفي الحقيقي، وهذا ليس انتقاصاً من الرقة ولكنه إحساس بريءٌ بمدى البعد عن بلدي".

وتتابع: "السابعة صباحاً وصلنا معبر أبو الزندين على أطراف مدينة الباب، هنا توقفت الحافلات التي لم تتوقف أبداً من دمشق حتى هذه النقطة، كان ضوء الصباح الربيعي مشرقاً والشمس دافئة بطريقة مزعجة لمن سيبقى في العراء تسع ساعات كاملة ينتظر إذن الدخول إلى الباب"!

وأضافت العمري : "تذكرتُ يومها أمرين قد يبدوان مضحكين، ولكنهما، ومع تثاقل الحزن والهموم حينها، كانا كالشعرة التي قصمت ظهر البعير، تذكرت أن طراز معظم البيوت في ريف شمال البلاد (عربي) بفسحة سماوية، وهذا يعني دخول القطط إليها وأنا أكره القطط وأخافها، وأن أهل الشمال لا يأكلون الكزبرة الخضراء ولا يبيعونها! وهذا يعني حرماننا منها، لا أدري كيف كان لهذين الأمرين البسيطين أن يثيرا فيّ حزناً أكبر، انفجرت بسببه ببكاء طويل! أدرك أن القطط والكزبرة ليست السبب، ولكنه الشعور بأن كل شيء قادم لن يكون جميلاً، ليس انتقاصاً من المنطقة ولكنه البعد عن الوطن".

وتتابع العمري السرد: "استهلك الطريق من الباب إلى اعزاز ساعات طويلة، شعرنا فيها بالتعب والجوع والغثيان والملل، كل الصور كانت متاحة في ذهني، ولكنّ الصورة الحقيقية كانت غائبة بشكل كلي".

وأنهت حبيبة قصتها بوصولها إلى الخيمة التي "كانت كبيرة جدا وفيها نساء وأطفال، اتخذتُ مكاناً لي ولابني وغططتُ بنوم عميق بعد رحلة شاقة استمرت ثلاثين ساعة".

وبحسب مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية فإن عدد المهجرين من الغوطة 78 ألف نسمة باتجاه شمالي سوريا، و80 ألف شخص باتجاه مراكز الإيواء.

رسالة إلى فرانسواز آردي

مصعب الحمادي

(فرانسواز آردي Françoise Hardy أشهر مطربة بوب فرنسية في جيل الستينيّات تعيش في باريس وتصارع المرض والشيخوخة.

عزيزتي فرانسواز..

قد يفاجئك أن أبدأ رسالتي بالقول إني لست من هواة الاستماع للأغاني. وأرجو -كونك تتوقعين طبعاً أني أحد معجبيكِ- ألا تتخيليني كواحدٍ من أولئك المخبولين الذين يمشون في الطرقات ويركبون وسائط النقل العامة واضعين السمّاعات الصغيرة في آذانهم ويستمعون للموسيقى وهم شاردون عمّن حولهم.

لكن قد يسرّك أن تعلمي أنّي من ذلك الصنف من الناس الذين قد تسحرهم أغنية عابرة فتسحبهم من خواطر الدنيا كلّها، وترميهم في الخيالات العجيبة التي تحدثها فيهم. هناك في حياتي بضع أغانٍ أحدثت بي هذا الأثر، وكانت أغنيتك عن الصداقة l'amitie آخر واحدةٍ فيها. لا تستغربي! فأنا أستمع لأغانيكِ لأوّل مرّة، ولم أسمع باسمك من قبل أبداً!

أنا لاجئ من سوريا، وصلت فرنسا قبل سنتين، وأحاول بصعوبة أن أتعلم الفرنسية وأتأقلم على حياتي الجديدة في بلادك.

عندما غرّتني أحاسيسك من خلال أغنية الصداقة شعرت أن غيمةً حملتني من الأرض إلى السماء. وعندما ترجمت كلمات الأغنية للعربية وجدت أن فيها بالفعل غيمةً وشمساً ومطراً وفصولاً، وهي ثيمات غائبة عن معظم الأغاني الفرنسية هذه الأيام. وهكذا فأنا لم يسحرني صوتك فحسب، بل كلمات الأغنية أيضاً، وبصراحة جمالك الأصليّ غير المبتذل، وقفتك الرزينة ولباسك الجميل المحتشم.

هل يفاجئك أن أجنبياً جاء ليعيش في بلدك منذ سنتين فقط، لكن أول من أعجبهُ من الفنّانين مطربة بلغت ذروة شعبيتها في الستينيات؟ هل تعلمين يا فرانسواز؟ إن فرنسا التي جئت أبحث عنها تتمثل عندي بالتفاصيل الدقيقة التي تطبع فنّك وشخصيتك، وهي أشياء لم أجدها في فرنسا اليوم. وقد أحزنني يا سيدتي الجميلة أنك مريضة كما علمت عندما ذهبت أستقصي أخبارك. هل

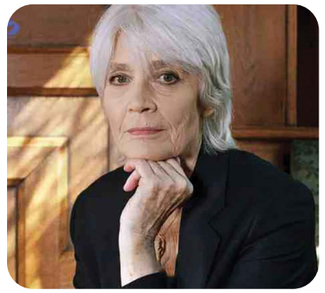

أقول لك شيئاً؟ إن فرنسا مريضةٌ أيضاً! قد لا يسرّك أن يقول لاجئ هاربٌ من الموت هذا الكلام عن بلد أعطاه اللجوء وقدّم له الحماية، لكنّي أبثّك خيبةً أملي لأن لا أحدَ من الفرنسيين من حولي يفهمني عندما أحاول أن أسأله عن الخلل. إن الفرنسيين يا فرانسواز لا يرون في بلادهم ما يثير قلقهم وهذا يثير استغرابي. هل تفهمين قصدي؟

على سبيل المثال، لقد أعجبتني جداً كلمات من قبيل الإخلاص والرّحمة التي ذكرتيها في الأغنية وأنت تتحدثين عن الصداقة. هل تعلمين يا فرانسواز أن هذه المعاني صارت موضةً قديمة، وأن من يتمسك بها يعتبر شخصاً غير عمليّ؟

في فرنسا وفي الغرب عموماً يخجل المرء أن يتحدث عن معاني الصداقة. الكلّ يركض وراء المال، وإذا كان ولابدّ من علاقات إنسانية فيجب أن تقوم على المصالح المشتركة. وأنا كهاربٍ وصلت فرنسا بحثاً عن حريتي وكرامتي، لم يمدّ لي أحدٌ يده من أجل الصداقة. ولم أر رحمةً من أحد. لقد وجدوا جيوبي فارغة. الجيب هو الذي يتفاضل به الناس في فرنسا. وهل تعلمين ما الذي صدمني أكثر شيء في صداقات الفرنسيين؟ إن أفضل أصدقائهم الكلاب، ينامون معهم في غرف نومهم ويرافقونهم عندما يتمشّون أو يذهبون للنزهة. أنا أيضاً أحب الكلاب يا فرانسواز، لكن لماذا لا يتمشّى الفرنسيون مع بعضهم البعض؟

عندما فتشت في اليوتيوب بحثاً عن أغانيك الأخرى ذوبتني تلك الأغاني التي تتحدث عن الحب. الحب يا فرانسواز هو الذي يعطي الحياة طعمها، وأنا جئت من بيئةٍ طالما ساد الاعتقاد فيها أن باريس مدينة الحب، وأن الفرنسيين أكثر شعبٍ رومنسيّ في العالم. لقد وجدت كل ذلك صحيحاً في عينيك وفي أغانيك. لكن الحبّ الذي تحكي عنه الصحف ووسائل الإعلام عند الفرنسيين اليوم هو الحبّ داخل الجنس الواحد. صار الحب بين الذكر والأنثى موضة قديمة لم يعد يكترث بها أحد. لكني يا فرانسواز ما زلت أرى الفرنسيات جميلات وجديراتٍ بالحبّ. الحسن في عيون الفرنسيات يطغى على قلوب أعتى الرجال، لكن كثيرات منهنّ لا يعبأن بالرجال، ومعظمهن لا يرغبن بالإنجاب.

هل كان الأمر كذلك في الستينيات؟ أعلم أن إجابتك ستكون بالنفي ولذلك فأنت ستتفهّمين صدمتي التي لا تنتهي بأحوال فرنسا.

إن أذُني هي التي أسست للعلاقة بيني وبينك في هذا العالم. الأذن يا فرانسواز فيها كثير من أسرار بشريتنا وكم حزنت عندما علمت أنك مصابة بالسرطان في أذنك. هل فقدت السمع؟ إن فرنسا نفسها مصابةٌ بالصمم يا فرانسواز. إنها لا تسمع الآخرين أبداً، وخصوصاً إذا كانوا مختلفين.

والسرطان! هذا العدو الشرس للحياة؛ أتمنى أن ينسحب أمام رقّتك وإنسانيتك. أنا أعرف السرطان جيداً يا فرانسواز. لقد أُصيب به أخي قبل ثلاث سنين وكسر قلبي يومها. واسمحي لي أن أعترف لك أن قلبي ينكسر اليوم من أجلك، ومن أجل فرنسا التي أراها -ولعلّي أكون مخطئاً- تسير نحو الهاوية.

إيزابيل الليندي أيقونة تشيلي

بشرى البشوات

"إنها تجربة سكون غريبة.

الأيام تقاس حبة حبة في ساعة رملية صبورة، أيام تضيع في التقويم لشدة بطئها، ويبدو لي وكأنني أقيم منذ الأزل في هذه المدينة الشتائية، بين الكنائس والتماثيل والجادات الإمبراطورية.

أساليب السحر أبدت عدم جدواها، إنها مثل رسالة نلقي بها إلى البحر في قارورة على أمل العثور عليها في ضفة أخرى ليأتي أحد وينقذنا، ولكننا لم نتلق جواباً حتى الآن".

إيزابيل الليندي كتبت هذا في روايتها "باولا".

حين قرأت رواية إيزابيل الليندي قبل سنوات من الآن، وعرفت بأنها تكتب قصة حقيقية عن ابنتها الشابة التي توفيت جراء مرض نادر وهي بعد في العشرين من العمر، تملكني حزن غريب، وحامت في رأسي علامة استفهام كبيرة؛ كيف استطاعت أن تكتب كل هذا وهي تجلس على كرسي في إحدى المستشفيات بانتظار أن تستفيق ابنتها من غيبوبتها، التي لم تصحُ منها أبداً.

حقيقة لم أجد جواباً لسؤالي. في ما بعد واصلت الغرق في عالم هذه السيدة صغيرة القدّ التي تدعى إيزابيل الليندي.

إيزابيل الليندي واحدة من أشهر الكاتبات في زمننا، كتبت ما يزيد عن عشرين كتاباً ورواية، وقد ترجمت رواياتها لأزيد من خمسين لغة، من بينها اللغة العربية، وحازت على العديد من الجوائز.

تتمتع إيزابيل بحب وإعجاب القراء الكبير لها.

تكتب إيزابيل الليندي على صفحتها الشخصية على فيسبوك فتقول: "أنا رومانسية لا أقهر. لقد وقعت في الحب دائمًا منذ سن السابعة حتى يومنا هذا. لذلك لا عجب أن يظهر الحب باستمرار في كتاباتي. أعتقد أنه أقوى قوة في العالم، وقعت فيه بطرق مختلفة، إنه يحرك كل شيء في الطبيعة.

في سن الشيخوخة سأبلغ الثمانين في هذا العام. أقدّر الحب أكثر من أي وقت مضى.

كثيراً ما يسألونني كيف يكون الحب في هذه المرحلة؟ أقول بأن الأمر أشبه بالوقوع في الحب في الشباب، ولكن مع المزيد من الصبر والتسامح والدعابة الجيدة والإحساس بأن لدينا القليل من الوقت المتبقي.. يجب أن نستمتع به".

بدأت إيزابيل القراءة في الخامسة من عمرها، حين أعطاها عمها كتاباً مصوراً عن الأساطير الإسكندنافية؛ رسوم لملكات وأميرات، رسوم للدببة والثلوج. وقد سحرها ذلك لأنها لم ترَ الثلج من قبل في حياتها.

تَعتبر إيزابيل أن كتابها الأمتع هو رواية "نداء البرِّيّة" التي نُشرت في عام 1903، وهي من أبرز روائع المؤلف الأمريكي الشهير جاك لندن، بل وتعده عمله الفني الأكثر تميزًا. وهي تروي قصة كلب اسمه "باك" يتم اختطافه من حياة الدّعة والراحة التي كان يحياها كحيوان مدلل في منزل القاضي ميلر في وادي سانتا كلارا الذي تغمره الشمس، ويُلقى به إلى فوضى منطقة كلوندايك التي استقبلت أناسًا من كل حدب وصوب بعد اكتشاف معدن الذهب هناك. يواجه "باك" قسوة الحياة ومشاقها على الثلوج وهو يجر الزلاجات. ورغم ذلك، يكتشف "باك" في داخله قوة لم يكن يعرفها، وغرائز ورثها عن أسلافه من كلاب البريّة، والتي كانت تكشف عن نفسها كلما تعرض للخطر. وفي النهاية، يلبي "باك" نداء البريّة، ويعيش في أحضانها بعد رحيل سيده جون ثورنتون (السيد الوحيد الذي أحبه) فتنقطع صلته بعالم البشر، ويعود إلى عالمه الأصلي في البريّة.

حكاية الكلب ومعاناته حفرت في قلبها؛ فهي تكنّ حباً جماً للحيوانات.

قرأتْ كتاب ألف ليلة وليلة في بيروت، وقد كانت وقتها في طور المراهقة، وتقول بأن هذا الكتاب غيّر كثيراً في حياتها.

أما إدواردو غاليانو الكاتب والصحفي والروائي الأوروغواري فقد غيّر تفكيرها، قرأت كتابه الشهير "شرايين أمريكا اللاتينية المفتوحة" عندما كانت تبلغ من العمر 29 عاماً، وبفضله أصبحت واعية بالوضع السياسي والاجتماعي لأمريكا اللاتينية، خاصة لبلدها تشيلي.

تقول إيزابيل: "كتبت العديد من الروايات التاريخية فأصبحت أهتم بالماضي وكيفية تشكيل الحاضر. شخصياتي ليست منفصلة عن العالم الحقيقي؛ فالأحداث الاجتماعية والسياسية تؤثر على حياتهم.

حياتي الخاصة حددتها أحداث خارجية لم أستطع التحكم بها. لا يمكنني أن أروي حياتي بدون الإشارة إلى تلك الظروف. وبنفس الطريقة، لا يمكنني إنشاء شخصيات يمكن تصديقها -معقدة ومتناقضة كما هم الأشخاص الحقيقيون- دون وصف الوقت والمكان الذي يعيشون فيه".

المكان وتفاصيله تلعب دوراً أساسيًا في رواياتها وحكاياتها. تقول الليندي إن رواية "مئة عام من العزلة" هي من حركت فيها حبّ الكتابة.

كانت في الأربعين من العمر، في وظيفة بسيطة، وقد كَبُر الأولاد قليلاً فلم يعودوا بحاجة إليها. فحدث أن قراءة رواية مئة عام من العزلة جعلتها تريد كتابة تاريخ عائلتها وبلدها تشيلي.

بدأت بكتابة روايتها الأولى "بيت الأرواح" في ذلك الوقت.

أصبحت رواية "بيت الأرواح" الأفضل مبيعاً والأنجح نقديّاً حال صدورها عام 1985، وقد حازت الكاتبة على هذه الرواية جائزة الأدب البانورامي، كما أنها ترجمت إلى ما يقارب الثلاثين لغة!

تعتبر الليندي الأعمال الشعرية لشاعر تشيلي الأول بابلو نيردوا، هي مصدر الراحة والسلام الأهم بالنسبة لها، لذلك تعود إلى قراءتها دائماً، وبتاريخ محدد، وهو السابع من كانون الثاني من كل عام، ومع هذه القراءة تعود إلى إسبانيتها وتثري مخيلتها.

تقول بأنها "قد تنقلت طيلة حياتها، ونيردوا فقط يعيدها إلى منبتها وجذورها".

صدرت روايتها الأخيرة فيوليتا في كانون الثاني 2022 باللغتين الإنجليزية والإسبانية. تقول إيزابيل: "أهديت هذه الرواية إلى فيليب بيريوس ديل سولار، صديقي المفضل وملهم شخصية كاميلو. يعمل فيليب مع الفقراء في مكبّ نفايات في شمال تشيلي، دينه يتعلق بالرحمة، الشمول، التسامح، الخدمة، الحب غير المشروط، النضال من أجل العدالة والتغيير الاجتماعي.

إنه مليء بالشكوك حول الكنيسة، ولكن ليس لديه شكوك حول إيمانه".

رمضان في مخيمات إدلب في ظلال الفقر والغلاء وألم النزوح

علي الدالاتي وسونيا العلي – إدلب

"تتعاقب المناسبات والأيام ونحن في هذه الخيام، أخشى أن نظل بقية عمرنا هنا" بهذه الكلمات تعبر سميحة الجاسم (45 عاماً) عن حزنها بحلول شهر رمضان وهي بعيدة عن مدينة معرة النعمان، وعن شوقها للعودة إلى منزلها للعام الثالث على التوالي، بعد نزوحها من بيتها نهاية عام 2019. وأمام باب خيمتها البالية تجلس الجاسم قبالة موقد طيني، لتعدّ طبق الشوربة بمكوناته البسيطة، لأسرتها المؤلفة من خمسة أفراد. وعن مائدة فطور العائلة تقول: "نعيش وسط ظروف صعبة تلازمنا منذ سنوات، ونعتمد على ما يصلنا من مساعدات إغاثية"، إلى جانب ما يجنيه زوجها من عمله في ورشة لغسيل السيارات، لكنها تضيف بحسرة: "نعجز في كثير من الأيام عن شراء حاجياتنا الأساسية من السوق بسبب الغلاء وضيق الحال، كما نلجأ لتقنين احتياجاتنا، والقبول بنوعيات قليلة الجودة مقابل شرائها بثمن أقل".

وتزامن قدوم شهر رمضان المبارك لدى الكثير من العائلات السورية النازحة القاطنة في المخيمات مع إثارة مشاعر الفقد والغصّة، كحال سميحة التي يحاصرها الفقر والغلاء ومرارة النزوح، وتقاسي الأمرّين لتأمين قوت يومها، وهي تستذكر أياماً مضت، فتفتقد اللمة والألفة التي كانت تعيشها العائلات خلال الشهر الفضيل.

وتستذكر سميحة رمضان منزلها قبل النزوح: "كنا نزين البيوت وننتظر مجيء رمضان والبهجة تملأ قلوبنا، كما يعج السوق الشعبي بالمارة لتجهيز المأكولات والعصائر، ويدعو الأقارب بعضهم لتناول الإفطار، ويساعد الغني الفقير بروح من التكافل والتعاون"، كما تستذكر اجتماعاتها مع نساء الحي للذهاب إلى المسجد وأداء صلاة التراويح، "أما اليوم نفتقد الفرحة التي كان يحملها الشهر الفضيل؛ فلا طقوس رمضانية ونحن مبعدين عن منازلنا وأرزاقنا".

وأشارت سميحة إلى أن أسرتها كانت تعتمد على ما تجود به أراضيها الزراعية من خيرات في مسقط رأسها، لكن بعد نزوحها تعيش أوضاعاً معيشية مترديةً تزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

الغلاء.. ضيف رمضان الثقيل

يتجول مصطفى منصور وهو نازح يقطن في إحدى المخيمات على أطراف مدينة إدلب بين عربات الخضار في سوق الخضار المركزية في مدينة إدلب، في رحلة البحث عن خضار لطبخة اليوم تتناسب مع يوميته البالغة نحو 30 ليرة تركية (حوالي 2 دولار أمريكي) غير إنه يفشل في إيجاد ما يناسبه، لتنتهي رحلته في محل مخصص لبيع المساعدات الإنسانية ليشتري كيلو برغل وعلبة مربى بندورة سيتكون منهما إفطارهم اليوم. ويقول مصطفى في حديثه لمجلة طلعنا عالحرية: "اليوم أصبحت الخضروات من المحرمات علينا، كما نسينا طعم اللحوم، واليوم علينا أن ننسى الخضروات أيضاً؛ فالغلاء أصبح لا يحتمل، والأسعار تتضاعف، بينما أجرتنا ذاتها لا تتغير"، لافتاً إلى أن لا أحد يهتم بأمرهم، فحتى الخبز المدعوم توقف: "لا أحد يتدخل لمساعدتنا؛ لا المنظمات ولا الحكومة، فاليوم نحن بين سندان غلاء الأسعار ومطرقة رخص أجورنا كعمال".

وبحسب خبراء اقتصاديين فإن قلة الطلب على اليد العاملة، وارتفاع نسبة البطالة، جعلت أجور العمل تصل إلى أدنى مستوياتها في تلك المناطق البعيدة عن الأسواق الاقتصادية والصناعية، ما جعلها لا تتناسب مع أسعار السلع الأساسية في السوق المحلية، وبالتالي تسببت بعجز الأسر عن توفير الاحتياجات الأساسية، كما فاقمت الحرب في أوكرانيا الأزمة الغذائية، وازداد ارتفاع أسعار الغذاء عالمياً، وبدأ الدعم الأوربي يتوجه لأوكرانيا.

ويقول عبد السلام اليوسف مدير مخيم (أهل التح) في حديث لطلعنا عالحرية إن قدوم شهر رمضان بالشمال السوري تزامن مع موجة فاحشة جديدة في الغلاء "قد أثرت سلباً على الحالة المعيشية للسكان؛ فاليوم غالبية سكان الخيام عاجزون عن شراء أبسط لوازم الإفطار"، ويضيف بأن عشرات العائلات تخرج من المخيم بغية شراء لوازم الإفطار ليعودوا وأيديهم خاوية بسبب الغلاء: "أصبحت الأمور البسيطة كصحن الفتوش وقطعة المعروك حلماً لديهم؛ حيث يقتصر طعامهم على مادتي البرغل والمعكرونة المسلوقة دون طهي، بسبب ارتفاع أسعار الزيت والسمنة اللازمة لعملية الطهي".

وتروي فدوى الشيخ أحمد (55 عاماً) المتحدرة من مدينة سراقب ونازحة في مخيم (حر بنوش) بريف إدلب الشمالي، إنها أم لستة أبناء فقدت أحدهم بقصف قوات النظام على مسقط رأسها بداية عام 2020، وسافر ابنها الثاني للعمل في تركيا، فيما يقيم أكبرهم مع أسرته في مخيمات (قاح)، وتقاوم لحظات الحنين وتعتصر قلبها مشاعر الشوق للمة العائلة على مائدة إفطار واحدة، لتقول: "لم يعد لدي في آخر العمر إلا خيمة قماشية تؤويني، وبعض الأمراض التي ترافقني كالضّغط والسّكري، التي أصبت بها بسبب الحزن"، وتضيف وقد ارتسمت الحسرة على تجاعيد وجهها: "لا يربطني بأولادي سوى هاتف محمول لأسمع صوتهم بين الحين والآخر بعد أن فرقنا النزوح، وأصبح من الصعب اجتماعنا في مكان واحد"، وأكدت أنهم في السابق كانوا يجتمعون مع الأبناء والأقارب على مائدة الإفطار في كل أيام شهر رمضان أو في أغلبها "أما الآن فقد أصبحت هذه اللمة حلماً لدينا بعد تشتت العائلة وتفرق الأبناء".

نساء يواظبن على العمل في شهر رمضان

على الرغم من الصيام والتعب تضطر بعض النساء المعيلات للخروج إلى أعمالهن لكسب ما تيسر من لقمة العيش اللازمة للحياة، كحال جميلة الحمود (41 عاماً) وهي نازحة من مدينة خان شيخون وتقطن مخيم (كفر عروق)، حيث فقدت زوجها بغارة حربية منذ عام 2018، وتتحمل شظف العيش في الخيام دون مورد للرزق، ولا تملك المال لشراء ما

يلزم لإعداد وجبات الإفطار لأبنائها الثلاثة، الأمر الذي يضطرها للخروج إلى الحقول القريبة من المخيم لجمع نباتات الدردار والخبيزة، لتحضير شوربة خضار بسيطة لإطعام أسرتها بعد يوم طويل، كما تبيع ما تجمعه من أعشاب طبية للاستفادة من ثمنها. وعن معاناتها تقول: "رغم عملي أضطر للاستدانة من المحل التجاري الموجود في المخيم، حتى وقت توزيع سلة إغاثية لأبيع جزءاً منها لسداد الدين". لتزيد وهي تستجمع ذكرياتها أنها قبل نزوحها كانت تتدبر مصروف المنزل من خلال تربية الأغنام والاستفادة من منتجاتها، وزراعة الخضار الموسمية في المساحة الموجودة حول منزلها، "أما اليوم نكافح للبقاء على قيد الحياة، ونعيش في خيام ضيقة ومتلاصقة وسط شحّ في المياه وكافة مقومات العيش".

ورغم النزوح وضيق الحال لا تزال بعض العوائل تحافظ على عادات رمضانية متأصلة ومتجذرة في حياتهم، ونقلت ردينة (33 عاماً) النازحة من بلدة حاس، وهي واحدة من ربات هذه العائلات وتعيش مع زوجها وأولادها الأربعة في مخيم تابع لبلدة حزانو بريف إدلب الشمالي، كيف تجهز طعام الإفطار قبل أذان المغرب بنصف ساعة لتجعل لجيرانها نصيباً منه، وعن ذلك تقول: "يعود علينا الشهر الفضيل مثقلاً بالحرمان والغلاء، ولكن رغم قسوة الظروف وضيق العيش وخلو مأكولاتنا من اللحوم أو الدسم، إلا أننا لا نزال نحافظ على عادة السكبة المحببة، والتي تعزز قيم التكافل الاجتماعي والمبادرات الخيرة، وتسهم في تفقد الفقير الذي لم يتمكن من طهي الطعام في منزله لسوء أحواله المادية".

وتأمل ردينة أن يعود هذا الشهر عليها وعلى كافة النازحين بأحوال أفضل، وبطي صفحة معاناة المخيمات وعذاباتها، ومرارة التشرد والبعد عن الأرض.

وبحسب فريق "منسقو استجابة سوريا" بلغ عدد المخيمات في الشمال السوري 1489 مخيماً، فيما بلغ عدد النازحين 1.512.764 نازحاً.

وأكد الفريق في بيان مع بداية شهر رمضان أن وباء جديد يصيب مناطق شمال غرب سوريا يتمثل بارتفاع ملحوظ لأسعار المواد الغذائية وغير الغذائية بالتزامن مع بداية شهر رمضان، حيث ارتفعت أسعار المواد الغذاء بنسبة 33.4 %، فيما ارتفعت أسعار الحبوب بنسبة 29.2%، أما أسعار القمح فقد ارتفعت بنسبة 42.3%، والزيوت النباتية بنسبة 62%، والألبان بنسبة 17.9 %، وأسعار السكر بنسبة 54%، وأسعار اللحوم بأنواعها بنسبة 34%، أما الخضار والفاكهة بنسبة 48%.

وأكد البيان أن ارتفاع أسعار المواد يتزامن مع العجز الواضح في عمليات الاستجابة الإنسانية من قبل المنظمات المحلية، وخاصة مع مقارنة أول يومين من شهر رمضان بالعام الماضي وانخفاض بنسبة 34% عن العام السابق.

وطالب البيان بزيادة الرقابة على أسعار المواد بشكل عام في المنطقة، إضافةً إلى تحسين الأوضاع الإنسانية للمدنيين في المنطقة، من خلال زيادة نسبة الاستجابة الإنسانية الفعالة وخاصة في الشهر الحالي، وخاصة أن الآلاف من العائلات لم تعد قادرة على تأمين قوت يومها.

قرارات لدعم الخبز في إدلب..

من الطوابير إلى الحرمان من الرغيف

طلعنا عالحرية

اتخذ الحاج أبو محمود من سكان مدينة إدلب قراراً بمقاطعة شراء الخبز، بعد أن أصبح عبءاً إضافياً مع ارتفاع سعر الرابطة وتقلص وزنها.

يقول أبو محمود 61 عاماً إنه قبل أسابيع قليلة كان يتحمل عناء الذهاب إلى الفرن مع طلوع أشعة الشمس الأولى ليصطف في طابور طويل بانتظار شراء ربطة الخبز المدعومة بمدينة إدلب. ويروي الحاج أنه كان يواظب على رحلته اليومية للحصول على ربطة الخبز التي كانت تحوي على 14 رغيف بسعر 5 ليرات تركية، على حين تباع دون دعم بنفس السعر ولكن بعدد 9 أرغفة فقط. يقول أبو محمود: "يمكنني الحصول على ربطة واحدة فقط، لأن عدد أفراد أسرتي أقل من 4 أشخاص". ويضيف: "ينتهي البيع حوالي الساعة العاشرة لذلك أنا مضطر للقدوم باكراً، وإلا لن أتمكن من الحصول على الخبز وتوفير بضع ليرات نضعها في التزامات أخرى".

بدأت قصص طوابير الخبز في مناطق سيطرة النظام أولاً، والتي تعاني من نقص في كميات الطحين وتراجع دعم حكومة الأسد لمعظم المواد الأساسية، بينما كان أهالي محافظة إدلب الخاضعة لسيطرة هيئة تحرير الشام المتمثلة بحكومة الإنقاذ تتمتع بوفرة الخبز في معظم الأفران وبكميات جيدة، ولكن بسعر مرتفع بعض الشيء، حيث تعتمد المنطقة على الطحين المستورد.

ومنذ أن شهدت الليرة التركية تراجعاً بقيمة صرفها (وهي العملة المتداولة في هذه المنطقة)، تراجعت كميات الخبز، وتقلص عدد الأرغفة في الربطة الواحدة، تزامناً مع ارتفاع سعرها؛ ما دفع الأهالي لتنظيم احتجاجات ضد حكومة الإنقاذ كان شعارها "إلا رغيف الخبز يا حكومة" مطالبين بدعم هذه المادة.

وكان مجلس الشورى العام قد عقد مع مجلس حكومة الإنقاذ اجتماعاً طارئاً في معبر باب الهوى بحضور زعيم هيئة تحرير الشام أبو محمد الجولاني، في 23 من تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، قرروا خلاله تثبيت سعر ربطة الخبز بـ 2.5 ليرة تركية بوزن 600غ ضمن خطة تمثلت بدعم 40 فرن كمرحلة أولى، بمبلغ قدره 3 مليون دولار، لتنتقل بعدها لدعم باقي الأفران، والتي يبلغ عددها 116 في عموم مناطق إدلب. كما انتهى الاجتماع بتقديم وعود بعدم تأثر سعر ربطة الخبز بأي عوامل اقتصادية أخرى، إلا أنه بعد فترة وجيزة أعادت الحكومة رفع سعر ربطة الخبز المدعوم لـ 5 ليرات بعدد 14 رغيف للخبز المدعوم، و9 أرغفة للخبز الحر.

"أي دعم ... ليش ضل دعم؟" بهذه العبارة أجاب أحد أصحاب أفران مدينة إدلب طالباً عدم ذكر اسمه.

وأوضح صاحب الفرن نفسه لطلعنا عالحرية أنه مع بداية تقديم الطحين المدعوم للفرن كان البيع يستمر حتى منتصف النهار، وتدريجياً بدأ بالانخفاض حتى الظهر، ثم صارت ساعات البيع لا تتجاوز العاشرة صباحاً. حيث بدأت كميات الطحين المدعوم من حكومة الإنقاذ بـ 9 طن، ثم انخفضت حتى 4 طن، وإلى أقل من 2 طن خلال الفترة الأخيرة، وهو ما كان يدفع عشرات الأهالي للوقوف بطابور الخبز باكراً للحصول على ربطة خبز مدعوم.

ووفق صاحب الفرن فإن الحكومة دعمت الطحين عندما سجلت الليرة التركية 18 أمام الدولار، وبدأ دعم الأفران يتناقص مع تحسن سعر صرف الليرة. ورغم مشقة الحصول على الخبز المدعوم إلا أن عشرات الأهالي كانوا مضطرين للحصول عليه، لا سيما الأسر التي لديها عدد أفراد كبير، خاصة مع تراجع القدرة الشرائية وندرة فرص العمل. ولكن حكومة الإنقاذ في إدلب عادت لتقلص وزن ربطة الخبز، قبل أن تقرر إيقاف دعمه أيضاً، لتصبح الربطة بوزن 650 غرام، وبنفس سعرها 5 ليرات تركية للربطة الواحدة.

وبررت الحكومة سبب الارتفاع بغلاء أسعار الطحين، وكانت قد أوقفت في 8 آذار/ مارس الماضي عملية بيع الخبز المدعوم، ووعدت بإعداد خطة جديدة لدعمه، إلا أنها بقيت في طي النسيان بحجة أنها قيد الدراسة، وفق ما أوضح نشطاء في إدلب.

ويقول أبو محمد، وهو تاجر في ريف إدلب، إن أسعار الطحين انخفضت منذ أكثر من أسبوعين، كما شهدت أسعار المحروقات انخفاضاً طفيفاً، على حين بقي سعر ربطة الخبز على حاله، ويعلق أبو محمد: "لو صار غلا فوراً بيرفعوا السعر.. أما بالرخص بينتظروا كتير".

وكانت قرارات مؤتمر دعم الخبز، قد أكدت على تثبت سعر الربطة المدعومة مهما طرأت تغيرات على سعر صرف الليرة، إلا أن قرار تخفيض الدعم قبل إلغائه اتخذ بشكل غير مباشر عبر خفض كميات الطحين، وتضييق الخناق على أصحاب الأفران بفرض شروط "تعجيزية" نفّرت عشرات أصحاب الأفران الذي رفضوا العمل بالطحين المدعوم، بسبب المشاكل التي سببها لهم مع الأهالي؛ حيث تنشر الرواية الرسمية للإنقاذ أنها كانت تدعم الأفران بكميات كافية، على حين لم تكن تلتزم بالكميات المعلن عنها.

وكان قرار إيقاف دعم الخبز قد أسهم بإنهاء مشكلة الطوابير التي كانت تزدحم على أبواب الأفران، لكنه أحلّ مكانها مشكلة أدهى وأمر تجلت في عدم قدرة عشرات الأهالي على تأمين قوت العيش المتمثل برغيف الخبز.

رمضان في الرقة..
شهر الرحمة لم يعد كذلك!

الرقة - عبد الله الخلف

في شارع القوتلي بقلب المدينة تتجول أم فارس (62 سنة) حائرةً بين عربات الخضار، لا تعرف ماذا ستشتري لإعداد فطور اليوم، لا يوجد في جيبها سوى 5000 ليرة سورية، وهذا المبلغ لا يكفي لشراء كيلوغرامين من البندورة! وبعد جولة متعبة لا جدوى منها اشترت أم فارس الخبز بالمبلغ الذي كان معها، وعادت لبيتها ليستقبلها أحفادها الخمسة خائبين لأنها لم تحضر شيئاً سوى الخبز! وبدلاً من المائدة الكبيرة التي كانت تعدها في السنوات الماضية للإفطار في شهر رمضان، أفطرت أم فارس وأحفادها وزوجة ابنها خبزاً مع الشاي فقط!

إفطار بطعم القهر

تعيش السيدة الستينية مع زوجة ابنها وأحفادها بعد وفاة ولدها الوحيد بمرض عضال، والذي كان المعيل الوحيد لهذه الأسرة، ليصبح رمضان شهراً للمعاناة بالنسبة لهم، تقول أم فارس: "في السنين الماضية كنا نفطر ما لذ وطاب، كان ابني عاملاً، ورغم أن مردوده قليل ولكن كان يكفينا للعيش، أما اليوم فنأكل الفتات ولا نعرف في الغد إن كنا سنأكل أم لا؟".

في اليوم التالي قررت أم فارس الذهاب لأحد المطابخ الخيرية للحصول على وجبة إفطار مجانية، تلثمت بغطاء رأسها خوفاً من أن يراها أحد يعرفها، يعز عليها أن تكون بهذه الصورة بعد أن كانت سيدةً مكرمةً في بيتها. شهر رمضان بات صعباً على الكثيرين، وأصحاب الدخل المحدود حائرين كيف سيؤمنون مصاريف هذا الشهر، محمد خير (46 سنة) يعمل سائق سيارة أجرة، يتراوح دخله اليومي بين 15 - 25 ألف ليرة سورية، ورغم ذلك فهو يعاني أيضاً! يقول محمد إنه يستطيع تأمين الأكل للإفطار، ولكنه غير قادر على تأمين أشياء أخرى يشتهيها أولاده على مائدة الإفطار: "أولادي يطلبون مني شراء المعروكة كل يوم، وأتحجج لهم بأن المعروكة في السوق ليست لذيذة! سعرها 10 آلاف ليرة سورية، وأنا بالكاد أتمكن من جلب الخبز وطعام الفطور، أشعر بالقهر وأنا أضطر للكذب على أولادي في الشهر الفضيل!".

مبادرات خيرية

ومع بداية شهر رمضان تنشط العديد من المبادرات الخيرية، التي تهدف لإفطار الصائمين من الفقراء والنازحين، تتنوع تلك المبادرات ما بين مطابخ خيرية، وخيم رمضانية، بالإضافة لفرق تطوعية توزع المواد الغذائية. مطبخ باب بغداد الخيري الذي ذهبت أم فارس لجلب وجبة الفطور منه، يوزع قرابة 300 وجبة على العوائل الفقيرة بشكل يومي، طابور طويل أمام المطبخ، جميعهم من النساء، تحمل كل

واحدة دلواً في يدها بانتظار أن يجهز الطعام. يقول إسماعيل اللجي المشرف على عمل المطبخ إنهم كانوا يعانون في السنوات الماضية من أجل إيجاد متبرعين، ولكن هذا العام تكفل شخص واحد من الميسورين بتكاليف المطبخ طيلة شهر رمضان. ويشرح اللجي: "المطبخ يعمل طيلة أيام السنة، في الأيام العادية يتم توزيع وجبتين كل أسبوع، أما في رمضان فيتم تقديم وجبة كل يوم، كوننا نعرف معاناة الناس في هذا الشهر، ونرى بعيننا الكثير من الحالات المأساوية" ويضيف: "في أول يوم من رمضان دخلنا على عائلة ووجدناهم يفطرون على صحن زبدة فقط!".

ومن أشهر المبادرات التطوعية في الرقة هي مشروع إفطار صائم، الذي يستمر للسنة السابعة على التوالي، ومصدر هذه المبادرة كما باقي المبادرات التبرعات من الميسورين في الداخل والمغتربين الذين يعتبرون الأكثر تبرعاً. وتضم المبادرة العشرات من المتطوعين الذين تتنوع مهامهم ما بين جمع التبرعات وشراء المواد الغذائية، وتجهيزها وتسليمها للأسر المستفيدة، ويقول أحد المتطوعين في المبادرة إنهم يوزعون قرابة 800 سلة غذائية في اليوم الواحد. موضحاً بأن العدد يرتفع يوماً بعد آخر نتيجة زيادة التبرعات، مشيراً إلى أنهم يستهدفون العوائل التي لا دخل لها فقط بعد أن يتم تقييم وضعهم المعيشي، وهم كثيرون في مدينة الرقة حسبما يقول.

وبحسب عيسى السطم وهو ناشط مدني من الرقة، فإن المبادرات التطوعية الخيرية تناقصت هذا العام، وذلك لأن الأوضاع الاقتصادية زادت سوءاً؛ فالكثير من المتبرعين لم يعد بإمكانهم التبرع بسخاء كما الأعوام الفائتة، والمتطوعون لم تعد لديهم القدرة على ذلك بسبب الظروف المعيشية كما يقول.

رمضان شهر زيادة الأرباح!

يشير السطم إلى أن الكثير من تجار المواد الغذائية قاموا برفع الأسعار بنسب كبيرة مع بداية شهر رمضان، فهو "فرصة لتحقيق أرباح عالية بالنسبة لهم، والرقابة على الأسواق شبه غائبة" حسب تعبيره. ويقول: "مع أول أيام رمضان لاحظنا أن الأسعار ارتفعت بشكل مفاجئ، كيلو البندورة قبل رمضان بيوم كان 2000 ليرة، ومع أول يوم رمضاني أصبح 4000، والأمر ينطبق على الزيت والرز وغيرها من المواد الغذائية".

من جانبه يوضح كامل البزي نائب رئيس دائرة حماية المستهلك التابعة لمجلس الرقة المدني أن هناك بعض التجار يستغلون رمضان لزيادة أرباحهم، ولكن بشكل عام سبب ارتفاع الأسعار ظروف خارجية وهناك ارتفاع عالمي للأسعار. وينوه إلى أنهم وضعوا نقاطاً لاستقبال الشكاوى من رفع الأسعار في عدة أماكن بمدينة الرقة: "عندما نتلقى الشكوى نقوم بمتابعة الأمر على الفور، في حال تأكدنا أن هناك رفع للسعر المحدد نقوم بإغلاق المحل لفترة تتراوح بين يوم وأسبوع، وتغريم صاحبه مالياً، ومنذ بداية رمضان أغلقنا أربعة محلات لبيع المواد الغذائية بسبب رفع الأسعار". ووفقاً لبرنامج الأغذية العالمي فإن 90% من سكان سوريا يعيشون تحت خط الفقر، حيث يعاني أكثر من 12.4 مليون سوري من إجمالي عدد السكان المقدر بحوالي 16 مليون من انعدام الأمن الغذائي.

"في مديح الوقت" نصوصٌ خارج حدود السياج

ياسمين نهار

إنّ نصوص الشّاعر والنّاقد مرزوق الحلبي تضع كلّ مرجعيّة معياريّة موضع تساؤل سواء أكانت المرجعيّة سياسيّة أم دينيّة أم اجتماعيّة... ومن يتعمّق في هذه النّصوص يرَ أنها اختارت موضع المسافة -إن لم نقل المواجهة- بينها وبين المسبّقات والتّقاليد البالية والطّغيان بأشكاله كافّة.

وقد اختار الحلبي فضاءً خاصّاً يتنفّس فيه بحريّة بعيداً عن الحيّز الجماعيّ المشترك الذي نشأ وتربّى ضمن الأطر الشموليّة أو العقائديّة أو الأصوليّة... لذا ابتعدت نصوصه عن المنبر وجمهوره، واتّجهت إلى قلّة قليلة تخاطب وعيهم، وتكشف مكامن الحقائق المُغيَّبَة عندهم.

عن مجموعته "في مديح الوقت" كان لنا هذا الحوار:

ـ لمستُ في نصوصك رغبةً في التّحرّر من قيود السّياسة والدّين والمجتمع.. كيف يستطيع الشّاعر العربيّ أن يجد نفسه وشعره خارج هذه القيود التي كبّلت الثّقافة منذ أكثر من خمسة عشر قرناً؟ وكيف ينجح الشّاعر في تحقيق هويّته المتفرّدة المتجاوزة حدود الانتماءات الجغرافيّة أو السّياسيّة أو الدّينيّة الضيّقة؟

م. الحلبي: "إنها في نهاية الأمر مسألة وعي وخيارات يُحدّدها هذا الوعي ويوجّهها. أعرف نفسي منذ شبابي الأوّل مستأنفًا ومسائلًا في كلّ شيء، مُعارضًا ونقديًّا في الأسرة والمجتمع والحزب الذي انتميت إليه. ووجدت نفسي لاحقًا من أتباع المدرسة التفكيكية التقويضيّة أقصد ألّا أبقي حجرًا على حجر لأنّ المباني التي أنشأتها الثقافة العربيّة بما في ذلك في العصر الحديث ظلّت أسيرة الماضي والموروث. حتى الحركة القومية العربية على مدّها وجزرها قبلت الرّواية القائلة بأن الماضي يُمكن أن يُناسب ليكون مستقبلًا. قد تكون الثّقافة العربيّة خاضت حرب تحرّر من الاستعمار والغريب والأجنبيّ بتضحيات جسيمة، لكنها لم تتحرّر من إسارها هي، من أسر الإقامة في ماضيها وتاريخها، وفي تصوّرها لذاتها ككاملة ونهائيّة طالما هي نتاج الإسلام دينًا الذي نصّ بشكل لم يُناقشه أحد تقريبًا ـ أننا خير أمّة أخرجت للناس. هذا التّصوّر على مظاهره المزمنة الرّاسخة في اللغة والخطاب والوعي يعني شيئًا واحدًا وحيدا: أن نراوح أماكننا في نوع من الرّضا والتكرار والاتّباع. فلماذا نجتهد ونحن ـ كيفما كنّا ومهما فعلنا ـ سنظلّ خير أمّة؟ وأنا، على اعتقاد بأن علينا نحن أبناء هذه الثّقافة أن نكسر أصنامنا هذه وأن نؤسّس لقطيعة معها كي نبقى على احتمالات للعيش والنهوض".

ـ معظم ما أبدعه العربيّ في مجالات الفنون والفلسفة والعلوم إنّما أبدعه وهو في حالة صدام مع المرجعيّات أو تساؤل حولها. كيف يستطيع الكتّاب في وقتنا الرّاهن أنّ يعبّروا بحريّة عن الموضوعات التي تؤرّقهم أو أن يطرحوا الأسئلة المعرفيّة حول تلك المرجعيّات؟

م. الحلبي "أوافقك الرأي أن الإبداع يأتي من عمليات الكسر والصّدع والمواجهة المقصودة. "السلطة" ـ أي سُلطة ـ تسعى بطبيعتها وغايتها إلى فرض تصوّرها والسيطرة على "الوضع" وفرض "الهدوء" ـ ومن هنا فهي تخاف أي تغيير ولو طفيف في الوضع القائم وفي حقول الحياة الممتدّة. في السياسة كما في اللّغة وفي النّصّ كما في الكلام الشّفويّ، وفي الاقتصاد كما في الأكاديميا. من هنا أهميّة أن يحرص المبدعُ/ة في كل مجالات الإبداع على عدم التنازل عن حقّه في المواجهة باعتبارها شرطًا للإبداع. باعتقادي أن ثورة الاتصالات والشّبكات والميديا الحديثة العالية التكنولوجيا تمنحنا فرصة أن ندوّن ونُنتج علًا وصورة أسرع من مقصّ الرقيب وقادرة على جعل عَسَس السلطان مضحكة".

ـ في نصّ "أبعد من حدود القوافل" دعوة صريحة إلى تجديد اللّغة، ورأيت أنّ اللّغة تعاني من "عقدة القداسة" أي أنّها حبيسة ذاكرة ماضويّة تمنعها من الانطلاق والتّحرّر. كيف يمكن تجاوز هذه العقدة إبداعيًّا؟

م. الحلبي: "هذا سؤال المليون! في دراستي الأكاديمية اهتممت بشكل خاصّ بالعلاقة بين اللّغة المستعملة ـ الخطاب المتداول ـ وبين الثّقافة. بين اللّغة وبين "السّلطة" ـ وأيقنت أن اللّغة ينبغي أن تتحرّر من قبضة الطاغية والشيخ الأصوليّ ومن "القداسة" التي يُقصد بها فرض الوصاية على النّاس والثّقافة وليس على اللغة ـ باعتبارها لغة "النصّ المقدّس" و"كلمة الله". لن تنهض الأمّة إلّا إذا نهضت لغتها، أيضًا. بمعنى إلّا إذا تخلّصت من جثث وهياكل عظمية ومقابر ورماد وخراب في معجمها واعتمدت اللّغة المتداولة الآن، وانفتحت على العالم وأخذت منه وأعطته. فتصوّري اللّغة العربية بدون المعارف الإنسانيّة في مجال علم النّفس الاجتماعيّ وعلم اجتماع الحداثة وما بعده؟ تصوّريها بدون معارف المنجزات العلميّة والتكنولوجية والطبيّة وثورة العلوم المدمجة؟ الثّقافة العربيّة في أفعالها تعكس وضعاً لغويّاً قاصراً ومحدوداً، ويوازيه قصور معرفيّ واضح لا سيّما في العلوم الاجتماعيّة المتّصلة بالدّولة والاجتماع الحديث. اللغة كيان حيّ أراده الإسلاميون والقوميون العرب ميّتاً أو مُحاصراً في عقائدهم الضيّقة".

ـ تقول في نصّ "استغاثة": "الماضي حاضر بكثافة هنا / بكلّ طواغيته / لا مستقبل لي سوى هناك / فمن يدرّبني على احتمال الرّحيل؟"
تكرّرت لفظتا الطّغاة / الطّواغيت في نصوصك فمن هم هؤلاء الطّواغيت؟ وما العلاقة التي تجمع بينهم؟

م. الحلبي: "الطّواغيت هم رموز السّلطات على اختلافها. أنا أريد الطّيران من ثقافتي ومكاني وهناك مَن تدرّبوا على قصقصة جناحيّ أو قنصي. أنا المتحدث هنا هو العربيّ المتوسّط، كان في فلسطين أو سواها من مواقع. لقد حاولت حركات التحرّر في العالم أن تتواصل وترتبط ببعضها كي يعظم أثرها، لكن الذين نجحوا بالارتباط فعلاً هم "الطّواغيت" من كلّ صنف ولون. هم الذين صبغوا العالم كلّه باللّون الأحمر لدماء يسفكونها في كل مكان دون حساب. فأنا من الذين يرون الصّلة الوثيقة بين محنة فلسطين ومحنة سوريّة والعراق واليمن وليبيا، وبين الطّواغيت هنا وهناك. قد يبدو الطواغيت كديوك الحارة يتقاتلون هنا أو هناك ـ لكنهم في نهاية النّهار يذهبون إلى موقعهم ويقتلون الناس التي تعارض أو يسجنونها أو يسلخون جلودها. كلّ الطّواغيت أخوة. يختلفون في كلّ شيء ويتّفقون في وجوب قهر النّاس ودوس الحقوق والكرامات كجزء من تكريس سؤددهم".

ـ أفردتَ فصلاً خاصّاً للمأساة السّوريّة أسميته "ورد الشّام" سلّطت فيه الضّوء على حالات إنسانيّة مؤلمة من المحنة السّوريّة. من يقرأ تلك النّصوص يشعر بأنّك في قلب الحدث تُعايش مآسيه اليوميّة.
ما أسباب دقّة رصدك لتلك التفاصيل وصدق عرضها؟ هل لمعاناتك كفلسطينيّ خَبَر تلك المآسي اليوميّة مع العدوّ الصّهيونيّ دور في هذا الرّصد أم ثمّة أسباب أخرى؟

م. الحلبي: " أنا بالأصل حلبيّ من ريف حلب. من قرية ذكرها والدي على مسامعي وإن كان ولد هو في فلسطين مثلي. من "كفارمو". فأنا شامي في الأصل وشامي الهوى والرّوح. ولأنّي ـ كما ذكرت ـ أقيم علاقة وثيقة بين محنة الفلسطيني والسوريّ وسواهما من أشقّاء عرب، فقد ضبطتني المحنة السوريّة وأنا في وعي سياسيّ فكريّ عابر للحدود والجغرافيا وينفذ إلى جوهر الوجود الإنسانيّ. رأيتني أتتبع خطا السوريين الذين غيّبهم الطاغية كما أتتبع خطا الفلسطينيين الذي يقصف أعمارهم الاستعمار الصهيوني. وأكثر، وجدتني أخرج ضدّ كلّ فلسطيني وقف في هذه المحنة إلى جانب الطّاغية في الشّام على أن في موقفه هذا "ممانعة" أو "مقاومة" أو ما شابه لإسرائيل. نعم، رأيت نفسي مكرّساً للمحنة السّورية وضحاياها كي أحمل قضيّتهم في وجه الفلسطينيّ القبيح صاحب مثل هذا الموقف وفي وجه إله بليد وعالم عنصريّ. إنّه الموقف المناهض لكل الطّواغيت على لغاتهم. في كثير من منعطفات المحنة السّوريّة وجدتني أعيش مقبوض الروح والقلب منعزلًا كي أحفظ إنسانيتي من أذى المشهد المرتسم. كتبت للشام وأهلها في محاولة يائسة للمقاومة. ذهبت إلى مضايا وجوبر والقلمون والقصير وحلب وحمص والحسكة وتتبعت خطا المعارضين كي أضمد جرحاً نازفاً أو أقرأ الفاتحة على روح طفلة ماتت وحيدة. إنّه خيط الحياة الممتدّ من أوّل الأرض إلى آخرها ومن أوّل الوقت إلى الأزل".

ـ في نصوصك حضور لأحبّة تربطك بهم وشائج قرابة كالأم والأب والابنة، وآخرين تربطك بهم علاقات صداقة أو تقارب فكريّ / ثقافيّ. أريد هنا أن أتوقف عند علاقتك مع والدتك هل استحضار الشّاعر لأمّه في قصائده دليل على شوقه إلى مرابع الطّفولة أم حنين إلى دفء الرّحم الأوّل؟

م. الحلبي: " للعلاقات الإنسانية عندي ثقل وازن. وقد نشأت في أسرة دافئة ومنفتحة تقدّس كرامة أفرادها وتحرّم مسّها أو خدشها. والحيّ الذي ترعرت فيه كان على نهج الأسرة، متماسك متشابك وحميم. كان لوالدي ووالدتي دورهما في تنشئتنا على احترام الناس ومحبّتهم وحفظ الودّ وعلى الكتاب والكلمة والشّعر. وكانت جدّتي تقول: عليكم بالكلمة الطيّبة لأنها تُخرج الحيّة من جحرها. والدتي لا تزال بيننا أزورها يوميًّا لأرى ما تصنعه يداها وهي في السابعة والتسعين من عمرها، تُنتج الحياة إلى يومنا هذا، وتُنتج الجميل المدهش من أشغال. لا أزال أمكث في بيتها للمبيت كمناوب في قضاء اللّيالي معها. اهتمامي بها هو اهتمام بالنّاس حولي وخلاصة العلاقة بهم. هم حاضرون في حياتي وأدبي واهتماماتي. لي خصوصيتي لكن وجودي متصل بوجودهم. طفولتي تتجدّد كلما زرت بيت طفولتي. بل أخالها لم تغادرني أصلاً."

ـ الحبّ عندك كالشّعر طاقة خلّاقة تتجاوز حدود المكان والزّمان واللّغة أستدلُّ على ذلك بنصّ: "خارج الأشياء" ما الفكرة أو الصّورة التي أردت أن تعكسها نصوصك عن المرأة؟

م. الحلبي: "الحبّ والشّعر كلاهما طاقة. وكلاهما يحتاج إلى رعاية وصيانة وتجديد منابع. والمرأة من حيث هي قضيّة وجوديّة واختبار للرجل على مدار اليوم فإنني أسعى إلى أن أتجاوز هذا الاختبار كل يوم بشرف. في العلاقة مع أمّي وأخواتي الثلاث وزوجتي دالية وابنتي شادن ومع زميلتي في العمل والطّالبة التي أدرّسها. لا أقدّس المرأة ولا أمثلنها لكنّي أحرص كلّ الحرص على أنّها متساوية معي في كلّ شيء، وهذا ما يضعني في مواجهة متواصلة مع الموروث والعرف الاجتماعيّ الذكوريّ والمجتمع البطريركي على غير ذلك. المرأة سؤال كالهويّة لا أتنازل عن حقّي وإرادتي أن اصوغ إجابتي الشخصيّة له."

ـ حضر المكان في نصوصك بأبعاده الماديّة والنّفسيّة: بيت الأسرة، المدن الفلسطينيّة، المدن السّوريّة.. ورأيتَ أنّ المدن العربيّة مرايا تعكس صوراً متشابهة عن حياة تلك المدن، ولشدّ ما استوقفني تعاملك الصّادق مع المدن الغربيّة البعيد عن التّعالي الأجوف أو التّبعيّة العمياء. ما طبيعة علاقتك بالأمكنة؟ وماذا أضافت لك أسفارك؟

م. الحلبي: "السفرُ فرصة للخروج من الروتين والإطار والعاديّ والصورة ذاتها للكون، فرصة للتأمّل والتفكّر والأهم للمقارنة. الأمكنة بالنسبة لي ليست طبيعة جامدة أو معالم أو آثار تاريخية أو معماريّة، بل هي الناس والاجتماع فيها. هي مرآة الفعل الإنسانيّ تعكس روحه وطاقاته. والسّفر غرباً يدفع إلى النّظر شرقاً وجنوباً من علٍ، من مسافة لغويّة وحضاريّة وثقافية، أحتاجها كي أتأمل ذاتي الشّرقيّة والعربيّة وأقارنها. أسافر كعالم اجتماع وإناسة وكمعماريّ ومهندس وشاعر ومثقّف وإنسان ورجل اقتصاد ـ فأحاول أن ألتقط معاني الأمكنة والنّاس فيها وأتعلّم عن مجتمعاتها من اعتقادي بإمكانية حصول التّكامل والحوار بديلا للتبعيّة والتذيّل والشّعور بالنّقص. وأعود إلى مكاني وهويتي باعتبارها ميناء مفتوحاً وليس حصناً مغلقاً أموت فيه من الحسرة".

ـ معظم الشّعراء الذين خلّد التّاريخ أسماءهم كانوا على درجة عالية من الثّقافة برأيك ماذا تقدّم الثّقافة للتّجربة الشّعريّة؟

م. الحلبي: "أنا المثقف هو أنا الشاعر. والشّعر بحاجة إلى الثقافة كحاجته إلى اللّغة وإلى الموهبة. لا إلى المعلومات بل إلى "الفسلفيّ" خلف الظواهر، إلى إدراك الأشياء وأسرارها، إلى معرفة تفكيك المباني في اللّغة والسّياسة والإقتصاد والاجتماعيّ كي نرى تحتها، إلى قدرة على تفكيك المعاني والدّلالات المضلّلة أو القابضة، كي نسميها من جديد. في تدريسي لبعض المواضيع أعثر على الشعر في أعمال باحثين في التربية والاقتصاد والأدب، فأجدهم "شعراء" لأنّهم يستثمرون معارفهم لتسمية الظّواهر وتفكيكها. أنا بحاجة إلى المعرفة كي يكون لشعري معنى أعمق ومؤثّراً وقادراً على النفاذ إلى الجوهريّ والإتيان بإضافة فلسفيّة تأمّلية إلى ما كُتب. الشّعر عندي تأليف لا تسلية. والتأليف بحاجة تأمّل وإلى ثقافة ومعرفة وأدوات اكتشاف وحفر، وإلى الاستعارة من العلوم كافة كي يكتمل معماره".

ـ اتّخذت من قصيدة النّثر وسيلة للتّعبير هل لهذا التّحرّر من الطّغيان الشّكليّ علاقة برغبتك في التّحرّر من الطّغيان بأشكاله كافّة؟

م. الحلبي: "هذا الربط بين التحرّر من الطغيان والمباني القائمة وبين التحرر من أشكال أنتجها، ربط في مكانه. أمقت صفّ الكلام في طوابير كأننا أمام عرض عسكريّ. أقصد أن أحرّر الشّعر من مبانيه في إطار سعيي إلى هتك المباني المتداولة كجزء من إرث حقب تاريخية تقادمت وصارت ثقيلة. المباني تلك هي وليدة الثّقافة العربيّة كثقافة مسموعة. الانتقال إلى الثقافة المكتوبة يُعطينا فرصاً جديدة. أرى من مشاهداتي أن حياة الشّعر معززة مكرّمة وحرّة أكثر في قصيدة النّثر. من حيث المبدأ، أنا مع التجريب.

ـ هل تعتقد أنّ الشّعر قادر على تغيير العالم أو على الأقلّ ترويض الشّرور التي تقودنا ـ نحن العرب ـ نحو الهاوية؟

م. الحلبي: "دعينا نعتبره إحدى الوسائل النافذة. وهي إن لم تضعضع بنيان الطغيان فإنها تُشعر مستعملها بالاقتدار على التحدّي وطرح البديل. والشّعر ثورة ضد القُبح والتصحّر في الجغرافيا وفي الروح والفكر".